الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت–
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

العلاقات التجارية والثقافية بين الدولة الزيانية وبلاد السودان الغربي (633 ـ 962هـ / 1236 ـ 1554م)

من إعداد الطالبتين:
– سراي نور الهدى
– بن حليتم تركية

إشراف الأستاذ:
– طويلب عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة

د.حاج عيسى إلياس.....رئيسا
د.طويلب عبد القادر.....مشرفا
د. راكة عمر.....مناقشا

السنة الجامعية: 2014م/ 2015م

شكر وتقدير

"رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ".

" الآية 19 من سورة النمل"

من لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل، فالحمد لله والشكر لله الذي أرسل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا.

ثم نتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما وجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف طويلب عبد القادر الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذه المذكرة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا لإخراج هذا الإنتاج العلمي إلى النور.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى كل من صحبني في رحلتي مع البحث وينشدان أزري ويحظيان

على مواصلة السير...

إلى قرة عيني أمي الحنون

إلى مشرق روحي...

إلى الأخوات العزيزات:الأستاذة مليكة، رشيدة، حسينة، فتيحة.

إلى البراعم الصغار: عادل، ألاء، حسين.

إلى صديقاتي:تركية، خيرة، آسيا، خليدة، بختة.

إلى صديقي رابحي جيلالي الذي ساعدنا في كتابة هذه المذكرة.

إلى كل أساتذة العلوم الإنسانية"فرع تاريخ"وخاصة الأستاذ المشرف: طويلب عبد القادر.

سراي نور الهدى

إهداء

إلى أعز ماأنعم به الله علي من نعم بنعمة الإيمان

إلى من ربياني وإعتنيابي إلى أمي وأبي الغاليين حفظهما الله و أطال في عمرهما

إلى أخواتي:نونة وخديجة ودنيا وسلمى وعائشةو أبنائهم والصغيرة بشرى...

وإلى أخوي العزيزين:ياسين ومحمد

وإلى الكتاكيت الصغار:يسرى ومحمد فاروق

إلى صديقاتي:خيرة وهدى وآسيا وبختة وخليدة

إلى كل من ساعدني ورافقني في إنجاز هذا العمل العلمي المتواضع و كل طلبةوأساتذة العلوم الإنسانية " فرع تاريخ "وخاصة الأستاذ المشرف:طويلب عبد القادر.

بن حليتم تركية

قائمة المختصرات:

-تر: ترجمة.

-تح:تحقيق.

-تع:تعليق.

-تق:تعليق.

-در:دراسة.

-ج:جزء.

-ط:طبعة.

-ه:هجري.

-م:ميلادي.

-ص:صفحة.

-ت:توفي.

-إش:إشراف

-موفم:المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

مُقَدِّمَةٌ

مقدمـــــة:

تعاقب على بلاد المغرب الإسلامي عبر التاريخ عدة دول، كان لها أثر كـــبير في المنطقـــة، خاصة بعد سقوط دولة الموحدين، التي قامت على إثرها ثلاثة دويلات متناحرة فيما بينها علـــى حكم الموحدين، باعتبار كل واحدة منها الوريث الشرعي لها، فقامت الدولة الحفصية في المغـــرب الأدنى والدولة الزيانية في المغرب الأوسط والدولة المرينية في المغرب الأقصى، فأصبح لكل دولـــة كيانا سياسيا خاصا بها.

أما موضوع دراستنا فينصب حول الدولة الزيانية التي قامت في المغرب الأوسط في الفتـــرة الممتدة مابين (633-962هـــ/1235-1554م)، و التي عرفت خلالها صراعا سياســـيا مـــع جيرانها، لكن ذلك لم يمنعها من التطور الإقتصادي والثقافي، مما دفع بسلاطين الدولة إلى التطلع إلى إقامة علاقات مع دول خارجية وشجعوا تجارهم لإيصال منتجاتهم المختلفة ونشر ثقافتهم العربيـــة الإسلامية في تلك المناطق منها السودان الغربي.

ومن هنا يمكننا أن نطرح بعض التساؤلات:

-كيف كانت هذه العلاقات ؟

-وما هي السلع والبضائع المتبادلة بين الإقليمين ؟

-وما مدى تأثير العلماء الزيانيين على السودان الغربي ؟

إن موضوع بحثنا يتناول العلاقات التجارية الثقافية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي، لذا جاءت رغبتنا في دراسة هذه العلاقة التي ظل يحوم حولها الغموض إلا في بعض المراجع القليلة والتي تعد على الأصابع، فلم تتناوله الدراسات التاريخية بكيفية عميقة ومستقلة، فان تـــاريخ المغـــرب الأوسط(الدولة الزيانية) والسودان الغربي مايزال في حاجة إلى الدراسة والبحث، فكانت رغبتا منا في تسليط الضوء على تلك العلاقات التي ربطتهما ببعض، على غرار الجوانب السياسية والعسكرية لكلتا الإقليمين التي أفاضت كتب التاريخ في ذكرها.

هذا ما دفعنا إلى القيام بهذه الدراسة للمساهمة ولو بالقليل في إثراء البحث العلمي و المراكز العلمية بمعلومات تتناول جوانب هذه العلاقات التجارية والثقافية بين الدولة الزيانية وبلاد السودان الغربي.

واتبعنا في دراستنا لهذا الموضوع المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الذي يعتمد على ســـرد الاحداث و تحليلها.

ولعل من بين النقاط التي نصنفها في خانة الصعوبات هي عدم حصولنا علـــى المـــصادر والمراجع المتخصصة لهذه الفترة من الجانب التجاري و الثقافي التي تربط تلك العلاقـــات خاصـــة الوثائق التجارية والعلاقات الدبلوماسية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي.

-ومن أجل الإجابة عن الإشكالية وضعنا خطة بحث مقسمة إلى **ثلاث فـــصول**:فكـــان **الفصل الأول** بعنوان:الدولة الزيانية والسودان الغربي (سياسيا)، يندرج ضمنه مبحثين، تحـــدثنا في **المبحث الأول** عن الدولة الزيانة من الناحية السياسية، فذكرنا فيه نسب والموطن الزيانيين ونشأة دولتهم وحدودها وعن علاقاتها مع جيرانها الحفصيين والمرنيين.

أما **المبحث الثاني** فخصصناه للحديث عن بلاد السودان الغربي من حيث أصل تـــسميتها والموقع الجغرافي لها وكيفية انتشار الإسلام، وأهم الممالك الإسلامية بها.

أما **الفصل الثاني** فكان معنونا ب:العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي، قسمناه إلى، **الأول** تحدثنا فيه عن القوافل التجارية ومسالكها ونظام سيرهاووسائل النقل والمخاطر التي تواجهها أثناء الرحلة وأهم المحطات بين الإقليميين .

أما **المبحث الثاني** فكان بعنوان:حركة التبادل ونظم التعامل بين الإقليمـــيين، تطرقنـــا إلى الحركة التجارية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي، وأهم الصادرات والواردات المتبادلة بينـــهما ونظم التعامل بالإضافة إلى الموازين المكاييل و المقاييس المعتمدة في كل دولة.

أما **الفصل الثالث** والأخير فهو بعنوان: الصلات الثقافية بين الدولة الزيانية والـــسودان الغربي، قسمناه هو الأخر إلى مبحثين، الأول مخصص للحياة الثقافية في الـــسودان الغـــربي مـــن مؤسسات ثقافية كالمساجد، و المدارس والكتاتيب، والمعاهد العليا بها، بالإضافة إلى العلوم المتداولة كالعلوم النقلية والعقلية وأهم العلماء.

أما المبحث الثاني فعنوناه بالروابط الثقافية بين الإقليميين ذكرنا فيه أولا الإمام المغيلـــي في بلاد السودان الغربي وأثره الفكري والديني تكلمنا عن مولد ونشأته، ودوره الإصلاحي والدعوي بالإضافة إلى آثاره الفكرية، ومدى تأثير الطرق الصوفية كالطريقة القادرية والشاذلية ودور الزوايا

بها، كما لا ننسى تأثر بلاد السودان الغربي بالجانب العمراني والفني للمغرب الأوسط (الدولة الزيانية).

وفي الأخيرخاتمة للموضوع والتي كانت مجموعة من الاستنتاجات التي وصلنا إليها من خلال معالجتنا لهذا البحث، كما ألحقنا هذا البحث بمجموعة من الملاحق الخاصة بالموضوع.

وقد أعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع هي كما يلي:

-كتب الجغرافيا: أهمها *كتاب "**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب "وهو جزء من كتاب " المسالك والممالك**" الذي ألفه أبو عبيد بن عبد العزيز البكري، حوالي سنة 460ه /1068 أو 1069م، وحققه بارون دوسلان لطبعة الجزائر، سنة 1957م، وقد أفادنا في التعريف بعدة مدن وأماكن في بلاد المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي والتعريف ببعض المسالك التجارية التي كانت تربط بينهما، و الإشارة إلى بعض المعاملات التجارية في الأسواق.

*كتاب "**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** ":وهو من تأليف الشريف الإدريسي المتوفى سنة 562ه/1166م، وتحدث فيه عن الأنشطة الاقتصادية وبعض المزروعات ومواطن استغلال وتبادل المنتوجات بين مختلف مناطق المغرب الإسلامي وطرق التجارة البرية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي.

*كتاب: "**صبح الأعشى في صناعة الانشا** "(طبعة القاهرة، 1913م -1919م)، لصاحبه الشيخ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى المتوفى 821 ه /1418 م، في الجزء الخامس عرض فيه إلى الإمارات في المغرب الإسلامي في القرنين (7-8 ه)و (13-14م)، فحدد فيه مختلف المناطق وعرفها.

*كتاب "**نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** " لصاحبه أبو العباس أحمد بن محمد المقري، المتوفى سنة 1041 ه /1631م، في الجزء السابع من الكتاب، تحدث فيه عن أجداده الذين كانوا يمارسون التجارة في ممالك السودان الغربي ونوعية السلع التي كانوا يتعاملون بها مع تلك المناطق أيام دولة بني عبد الواد، وهو يعتبر من أ هم المصادر التي عالجت التجارة مع بلاد السودان الغربي.

***كتب الرحالة:**أهمها * **"تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** " لـــصاحبه محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة المولود سنة 703 ه/1304 م، وقد سجل في مشاهداته أثناء رحلته الطويلة عبر عدد كبير من البلدان في المغرب و المشرق الإسلاميين وممالك بلاد السودان الغربي خلال القرن الثامن الهجري و الرابع عشر الميلادي (8 ه/14 م)، وأفادنا في بصفة خاصة عن المعاملات في الأسواق وعن السلع المتوفرة من صـــادرات وواردات و كـــذلك وصف الرحلة عبر الصحراء وتنظيمها والأخطار التي يتعرض لها التجار والمسافرون بالإضـــافة إلى الرحلة بين مناطق المغرب برا.

*كتاب "**وصف إفريقيا** " لصاحبه محمد بن الحسن الوزان المعروف " بليون الإفريقـــي "، ألفه حوالي سنة 1526م، بلغة الايطالية وترجمه إلى الفرنسية، وتضمن فيه وصفا هاما لمدن بـــلاد المغرب عامة وتلمسان بصفة خاصة كما ذكر مناطق في بلاد السودان الغربي، جاء فيه معلومـــات حول الأسواق والمعاملات التجارية، وذكر أهمية الذهب في بلاد السودان الغربي وبعض الأخبـــار عن الرحلة.

كتب التاريخ:كتاب " **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** "لعبد الرحمن ابن خلدون المتوفى ســـنة 1406ه، ويتـــضمن معلومات هامة عن تاريخ تلمسان الزيانية وأصلهم والأحداث التي وقعت في المغرب الأوســـط إلى أواخر القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي (8 ه/ 14م) في المجلدين السادس والسابع، مـــن طبعة بيروت.

كما اعتمدنا على مقدمته، طبعة القاهرة 1379 ه/1960م وبها معلومات قيمـــة عـــن التجارة وأهمية بضائع بلاد السودان الغربي و معاملاتهم.

*وكتابي "**بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد** " لصاحبه أبي زكريـــا يحـــي بـــن خلدون الذي ألفه في القرن الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، وخصصه صاحبه لملك بني زيان وقد أفادنا بصفة خاصة في التزويد بالمعلومات عن فترة حكم السلطان أبي حمـــو موســـى الثـــاني وبصفة عامة عن الأحداث السياسية والعسكرية في المغرب الأوسط، بالإضافة إلى كتاب "**نظـــم**

الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان من ملوك بني زيان "لصاحبه محمد بن عبـــد الله التنـــسي المتوفى سنة 899هـــ/1494م.

*كتاب" **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابرالناس**" لصاحبه محمود كعـــت، وهذا الكتاب غني بمادته التاريخية إذ سلط الضوء على تاريخ السودان من ما قبل الإسلام إلى عصر المؤلف، فقد أفادنا في الحياة الثقافية في بلاد السودان الغربي.

كتب التراجم: كتاب "**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** "لأبي عبد الله بـــن أحمد الملقب بابن مريم المليتي المديوني التلمساني، احتوى هذا الكتاب على اثنين وثمانين ومائة عالم، لقد أفادنا في معرفة بعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا البحث.

*كتاب" **تاريخ السودان**" لصاحبه عبد الرحمن السعدي، يحتوي على الأحداث التاريخية، بالإضافة إلى تراجم العلماء و الملوك و الأئمة والقضاة المغاربة و المـــشارقة و الـــسودانيين، وقـــد اعتمدنا عليه في الروابط الثقافية و الدينية بين العالم الإسلامي والسودان الغربي وفـــضل العلمـــاء المسلمين في بناء الحضارة العربية الإسلامية فيها.

*كتاب:" **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" لصاحبه أحمد بابا التنبكتي (963هـــ/1036م)، وضع هذا الكتاب ليكون نيلا على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحـــون المدني المتوفى سنة 799ه، فهو مشارك للديباج في جوانبه الثقافية و الفكرية التي ساقها صـــاحب الديباج، والكتاب يضم تراجم علماء المالكية وفقهائها الذين فاق عددهم ثمانمائة، وقـــد اعتمـــدنا عليه في التعريف ببعض الفقهاء والعلماء الزيانيين والسودانيين الذين ساهموا بشكل كبير في إثـــراء الحياة الثقافية والفكرية في بلاد السودان الغربي.

المراجع:أهمها كتاب بشاري لطيفة "**العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد امارة بني عبد الواد من القرن السابع الى القرن العاشر الهجـــريين (13، 16م)**"، الـــذي أفادنـــا في الجانب التجاري للدولة الزيانية مع السودان الغربي بصفة عامة، بالإضافة إلى مـــذكرتها المعنونـــة "**بالتجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن الـــسابع إلى القـــرن العاشـــر الهجريين (13، 16م)**"، كما لاننسى بعض المجلات التي أفادتنا بها، تتحدث فيها عن إســـهامات التلمسانيين في الجانب الاقتصادي والديني.

*ورسالة ماجستير لصاحبها مبخوت بودواية المسماة "**العلاقات الثقافية والتجاريـــة بـــين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان** "، والتي أفادتنا في تحديـــد المـــسالك والطرق التجارية التي تربط الإقليميين و الجانب العمراني والفني في السودان الغربي.

كما أفادتنا مجموعة قيمة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية منها المترجم والغير المترجم والعديد من المجلات والمقالات حول هذا البحث.

الفصل الأول:

الدولة الزيانية وبلاد السودان الغربي (سياسيا)

المبحث الأول:الدولة الزيانية سياسيا

المبحث الثاني: بلاد السودان الغربي سياسيا

المبحث الأول:الدولة الزيانية (سياسيا)

1/-نسبهم[1] وموطنهم:

يعود الزيانيون[2] في أصلهم ونسبهم إلى قبيلة بني عبدالواد[3] الزناتية[4] البربرية[5] التي كانت قبائلها تعيش حياة البداوة والترحال، تجوب صحراء المغرب الأوسط بحثا عن المراعي لمواشيها، وهم ينتمون إلى فرع بني واسين[6] وتضم هذه الطبقة بطون عديدة منها بنو مرين وبنو توجين[7].

وينقسم بنو عبد الواد إلى عدة بطون ذكر منها ابن خلدون ستة هي: بنو ياتكين وبنو أرلو، وبنو رهطف، ونصوحة، وبنو تومرت وبنو القاسم[8][9].

1- ينظر الملحق رقم 1

[2]-**الزيانيون:** نسبة لجدهم لأبيهم زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان ابن يندوكس ابن طاع الله بن علي بن يمل بن يزوجن بن القاسم بن محمد ابن عبدالله بن إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن البسط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ينظر: الأغا بن عودة مزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م، ج1، تح ود ر. يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي:بيروت، لبنان(د، ط)، (د، ت)، ص:159.

3 -**بني عبدالواد:** نسبة لجدهم لأمهم عبد الوادي بن يادين بن محمد بن رزجيك بن واسين.ينظر: المصدر نفسه، ص:159، وقال صاحب بغية الرواد: أن عبدالواد أصله عبدالوادي وهي رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجيح ابن واسين بن يصليتن بن مسري بن زاكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر بن بر بن قيس بن غيلان بن مضر بن نيزار بن معد بن عدنان وفي سجيح هذا يجتمع نسبهم ونسب فرعائهم بني مرين، آصلها عابد الوادي وهو صفة لجدهم كان يتبتل بواد هناك. ينظر: يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بن عبدالواد، ج1، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، (د، ط)، 1400هـ، 1980م، ص: 186-334.

4- **الزناتية:** من أقوى القبائل البربرية اختلف المؤرخون حول أصلها و تسميتها غير أنهم أجمعوا أن هذا القبيل من ولد زانا أوجانا.ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون: العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، دار العلم، بيروت، لبنان، 1968، ص ص: 4، 5، وقد تفرعت عنها العديد من القبائل منها: مغراوة وبني يفرن وجراوة وبني يرتيان وبني واسين وبني تيغرس، وبني مرين وبني توجين وبني عبد الواد وبني راشد، وبني برزال وبني مرين، المصدر نفسه، ج7، ص ص: 14، 15.

5- **البربرية:** اسم أطلقه اليونان على سكان شمال إفريقيا و إختلفت المصادر حول أصلهم، منها من قالت أنهم من فلسطين من نسل جالوت، منها من قالت أنهم من قبيلة حمير من اليمن. ينظر: ابن خلدون:المصدر نفسه ، ج6، ص 89، ج7، ص:753، ينظر أيضا، بوزياني الدراجي، نظم الحكم في الدولة بني عبدالواد الزيانية، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1993م، ص:23.

6- **بني واسين:** هم أبناء واسين ابن يصليتن إخوة مغراوة وبني يفرن، وهذا الفرع من ولد بادين بن محمد إخوة بن توجين ومصاب، وزردال وبن راشد وبني مرين، عبدالرحمن ابن خلدون: العبر، ج7، ص ص: 114-147.

7- **بنو توجين:** أكثر بني بادين عدواتا وكانوا يتواجدون في عدة مناطق: منطقة التيطري، أرض صنهاجة، الونشريس، إقليم السوس، ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص ص: 318، 319.

[8]-**بنو القاسم:** تقسم إلى فروع متعددة هي: يمكثن، مطهر، علي وبني علي قسمت إلى أفخاذ وهم معطي، جوهر، طاع الله، وإلى بني طاع الله ينسب الزيانيون، ينظر: محمد بن عبدالله التنسي: نظم الدروالعقيان في بيان شرف بني زيان من ملوك تلمسان، تح: محمود بوعياد، وزارة الثقافة، الجزائر، (د، ط)، 2007، ص: 109.

[9]- بسام كمال عبدالرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني (633-962 /1235هـ - 1555م)، رسالة ماجستير في التاريخ، نابلس، فلسطين، (د، ط)، 1422هـ-2002م، ص:53.

إختلف المؤرخون في نسب الزيانيين وأجدادهم من بني القاسم، فعبدالرحمن ابن خلدون رفض نسبهم إلى الأدارسة قائلا: "ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم بن إدريس، وربما قالوا في هذا القاسم أنه ابن محمد بن إدريس أو ابن محمد بن عبدالله أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب إدريس زعما لا مستندا له إلا اتفاق بين بني القاسم هؤلاء عليه مع ابن البادية بعدا عن معرفة وهذه الأنساب"[1] .

لكن يحي ابن خلدون خالف شقيقه عبدالرحمن عندما إعتبر أن الزيانيين يعودون في أصلهم إلى الأدارسة قائلا:"بنو القاسم من ولد إدريس بن إدريس بن عبدالله[2] بن الحسين بن علي بن أبي طالب"[3] ونجد أن التنسي قد أيده في رأيه قائلا:"والقاسم جد أمير المؤمنين اتفق الأنساب على أنه من ولد عبدالله الكامل..."[4].

ومن جهة أخرى كان الموقف الرسمي للسلاطين الزيانيين صامتا أحيانا ومؤيدا نسبهم إلى الأدارسة أحيانا أخرى، فالسلطان يغمراسن[5]، عندما سئل عن هذا النسب رد قائلا:"إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا"[6].

وكان موطنهم الأراضي الممتدة ما بين نهر ملوية[7]، وأرض الزاب[8]، الواقعة جنوب الأوراس، وامتنعت عنهم أراضي المغربين، التي كانت تحت سلطة قبائل زناتة كبني ومانو وبني

---

[1] –عبد الرحمان إبن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص:149.

[2] –**إدريس بن عبدالله**: امتدت ولايته على الدولة الإدريسية من (172–177م/788–793م). ينظر: مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق، تح: محمد الميلي، امؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، (د.ت)، ص:100.

[3] –يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص:102، 103.

[4] – التنسي، المصدر السابق، ص:170.

[5] – **بغمرانس**: هو بغمرانس بن زيان بن ثابت بن محمد، ينسب إلى قبيلة بن عبدالواد زنانة، ولد سنة(603هـ –1206م) حكم ما بين 633هـ/1235م، وكان شجاعا فاضلا حليما ومتواضعا يكثر من مجالسة العلماء والصالحين ينظر: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 204–207، ويذكر يوراس الناصري في قوله:"غمراسن وقيل يغمراسن بن عبدالواد سلطان تلمسان، غلب على مدينة تلمسان عند ضعف بني عبدالمؤمن، وطالت أيامه، وكان أحد من يضرب به المثل في الشجاعة، وهو الذي قتل البعيد على بن إدريس المؤمني غدرا بنواصي تلمسان، مات غمراسن في العشرين من ذي القعدة سنة إحدى، وبقي في الملك سبعين عاما أو أقل وتملك بعده ابنه عثمان، ينظر: أبي راس الناصر(ت 1438)، لقطة العجلة في شرف عبدالقادربن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان، در و تح، حمدادو بن عمر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف: تلمسان، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص:145.

[6]- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7ص:149.

[7] –**نهر ملوية**: نهر كبير ينبع من الاطلس في ناحية الحوز على بعد نحو خمسة وعشرين ميلا من مدينة كرسلوين على وادي زيز. ينظر: الحسن الوزان بن محمد الفاسي، وصف افريقيا،ج2،تر:محمد حجي ومحمد الاخضر، دار المغرب الاسلامي:بيروت، لبنان ط 2، 1983،ص ص:27، 28

[8] –**الزاب**: هي المنطقة الواقعة جنوب الاوراس وعاصمة ولاية بسكرة وكانت اهم القواعد في العصر الوسيط وفي هذه المنطقة بالقرب من بسكرة استشهدعقبة بن نافع الفهري. ينظر:أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، البارون دوسلان، الجزائر 1957، ص:328

يلومي[1]، بالمغرب الأوسط وبني يفرن[2] ومغراوة[3] بتلمسان[4]، وقد ساعدت هذه القبائل، بني واسين فأمدها بالأسلحة والمال والحبوب مقابل مساعدتهم في حالة الحروب خاصة مع صنهاجة[5].

ولما أخلص بنو عبد الواد الطاعة للموحدين[6] أقطعوهم ضواحي من المغرب الأوسط (بلاديلومي ووامانوا) و بالتحديد فيما بين البطحاء[7] وملوية ريفه وصحراءه [8]، و يذكر يحيى ابن خلدون رواية مفادها أن عبد المؤمن بن علي[9] استنجد بشيخ قبيل بني عبد ألواد أبو محمد بن عبد الحق لرد أمواله وغنائمه التي اغتصبها بنو مرين[10]، فلبى هذا الأخير نداءه واسترجع غنائمه فاستحسن عبد

---

[1] –**بني ومانو وبني يلومي**: هما من الطبقة الأولى من قبيلة زناتة وكانتا من أوفربطون زناتة وأشدهم شوكة ومواطنهما جميعا بالمغرب الأوسط فكان بنو ومانو في الجهة الشرقية من الوادي مينا، بينما بنو يلومي في الجهة الغربية من البطحاء وجبل هوارة وبني راشد إلى أن تغلب عليهم بنو عبد الواد.ينظر:عبدالرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص:54، 55.

[2] –**بني يفرن**: إستقروا في تلمسان وتيهرت وكانت لهم بطون كثيرة ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص:17، 18.

[3] –**مغراوة**: ينتسبون إلى الزناتة البربرية موطنهم شمال الونشريس ووادي الشلف إلى البر ينتهي شرقا إلى وادي السبت قرب متيجة وغربا إلى البطحاء ناحية نهر مينا عاشت مغراوة حياة البداوة، ينظر:المصدر نفسه، ج7، ص ص: 50-57.وأيضا:يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص:169، 170.

[4] - **تلمسان**: "اسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين:تلم، وسين، وتقرأ بسان ومعناها تجمع بين إثنين البر والبحر".ينظر: ابن خلدون:العبر، ج7، المصدر السابق، ص ص:156-175.ويرى صاحب بغية الرواد انها تجمع بين الصحراءوالتل، ينظر:يحي ابن خلدون:المصدرالسابق، ج1، ص:85.وتلمسان تحمل ثلاث أسماء وهي أ كادير، بوماريا وتكرارت التي أسسها المرابطين.ينظر:ابن مريم التلمساني:البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تق:عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1981م، ص:09.

[5] – **صنهاجة**: هي من القبائل المناوئة لبني عبدالواد، حيث ظلت تناصبهم العداء، وكثيرا ما كانت تخرج ضدهم، وكانت لها الأراضي بنواحي المدية وحول الونشريس، من بطونها: تلكانة وسرطلة ولمتونة ومسوفة وتدالة ينظر: ابن عذارى المراكشي:البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح: س.كولان وليفي بروفينسال، مطبعة، بيروت، (د، ط)، 1948م ص:330.

[6] –**الموحدين**: تأسست دولة الموحدين سنة 524 هـ /1129م، على يد المهدي ابن تومرت ، في شكل دعوة دينية و فكرة روحية ، تتطورت إلى كيان سياسي على يد خليفته عبد المؤمن بن علي الذي بسط نفوذ دولته على كامل المغرب الإسلامي و بلاد الأندلس ، سقطت على يد بن مرين سنة 668 هـ /1269 م. ينظر: المؤلف مجهول:الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار و عبد القادر زمانة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط 1، 1979م، ص ص: 103 -129.

[7] – **البطحاء**:مدينة كبيرة متحضرة بناها الأفارقة في سهل فسيح، كانت قائمة عام 513هـ/1119م، عندما نزل بها محمد بن تومرت في طريق عودته من المشرق ، وتقع في الجهة اليسرى لواد مينا قرب اغيل ازان (ربوة الذئاب)، لكنها خربت اثناءالحروب بين ملوك تلمسان وأقاربهم من سكان الونشريس. ينظر:الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص ص:27، 28 .

[8] – عبدالرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص :159.

[9] **عبد المؤمن بن علي**:عبد المؤمن بن علي الكومي ولد بتاجرة هي بلدة صغيرة في منتصف الطريق بين هنين وندرومة بايعه ابن تومرت عام 515هـ/1021م ، توفي عام 558هـ/1162م. ينظر:أبو العباس ابن خلكان:وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ج2، تح:إحسان عباس، مطبعةالغرب، بيروت، (د، ط)1968م، ص:402.ينظرأيضا:عبد الحق حميش ومحفوظ بو كراع بن ساعد: موسوعة تراجم (علماء تلمسان وتوات)، دار زهرة، الجزائر، 2011 م، ص:192.

[10] –**بني مرين**:هم فرع من قبيلة زناتة، وهم من ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ، سمو بالمرينيين نسبة الى جدهم مارين، ويقال أن المؤسس الحقيقي لملك بنب مرين هو أبو سعيد عثمان .ينظر:ابن أبي زرع علي الفاسي:الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، (د، ط)، 1972م، ص ص:190-194. ينظر أيضا:أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:الإستقصا لأخبار ملوك المغرب الأقصى (الدولة المرينية)، ج3، تح وتع:جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د، ط)، 1954م، ص ص:3-6.

المؤمن صنيعهم فأقطعهم تلك الربوع[1] جزاء مؤازرتهم له، وبالنسبة لبني مرين فبعد دخول بني عبد الواد في المغرب الأوسط وسيطروا على تلك الصحراء وتوسعوا فيها، ومن هنا أصبح لبني مرين وبني عبدا لواد من بطون واسين كيانا سياسيا بعد ما أعادوا مكانة زناتة وأعطوها طابع الدولة ذات السلطان في الأرض لتظهر بذلك منافسة إخوانهم من مغراوة وبني توجين الذين حاولوا مقاسمتهم الملك والسلطة، غير أن بني مرين وبني عبدالواد قوتا شوكتهم بعدما قضوا تدريجيا على هؤلاء المنافسين، فتركز بنو عبدالواد بالقرب من تلمسان، وما لبثوا أن أصبحوا سادتها وحماتها واتخذوها حاضرة لهم[2].

2/-نشأة الدولة الزيانية:

يجمع جل المؤرخين[3] على أن وصول بني عبد الواد إلى الحكم، بعد تولي أبا سعيد[4] شقيق المأمون سلطان الموحدين[5]، على ولاية تلمسان سنة 624هـ/1227م، فإعتقل بعض مشايخ بني عبد الواد منهم جابر بن يوسف[6] بإغراء من عامله حسن بن حيوة[7] فقصده إبراهيم بن إسماعيل بن عيلان الصنهاجي اللمتوني[8] متشفعا فيهم، فلم يأبه له أبا سعيد ورد شفاعته، فغضب لذلك وثار ضده وجمع قومه وإغتال الحسن بن حيون وأطلق سراح مشايخ بني عبدالواد، لكنه تمادى إلى أبعد

---

[1]-يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص:101، ينظر أيضا:

[2]- السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة الشهاب للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، ص:786.

[3] -يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص:101. أيضا: عبدالرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص:152، 153.ينظر: التنسي:المصدر السابق، ص ص:12، 13.

[4]-**أبا سعيد عثمان:** هو ابن السلطان أبو يوسف بن يعقوب بن عبدالحق ولد سنة 674هـ، وتوفي بجبل هنتانة من مراكش في آخر شهر ربيع الأول عام752هـ . ينظر:أبو عبدالله محمد ابن أحمد ابن الشماع:الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تع وتق:الطاهر بن محمدالمعموري، الدا رالعربية للكتاب، تونس، (د، ط)، 1984م، ص:179.

[5] -**المأمون الموحدي:** هو أبو علاء المأمون بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، تولى حكم وهو بالأندلس ثم عاد إلى فاس لتولي الدولةالموحدية سنة 624 هـ /1226م، توفي سنة 629هـ .ينظر:الزركشي(أبو عبدالله محمد بن إبراهيم):تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح وتع:محمد ماضورة، المكتبة العتيقة، تونس، ط2 ، 1966م، ص:163.

[6] - **جابر بن يوسف:** هو شيخ بني عبدالواد، ملك تلمسان بدعوى المأمون سنة 627هـ/1229م، وهو أول من نازع بني عبدالمؤمن من رداء ملكها وأطاعتهم بنوعبدالوادوبنوراشد، أجمعوا حواضر القطر سوى ندرومة، وقتل على اسوارها، ينظر: يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص:199، 200.

[7]-**حسن بن حيون:** هو من مشيخة قوم كومية وهو من أغرى أبا سعيد عثمان بإعتقال جابر بن يوسف وجماعته.ينظر: عبدالرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص:87.

[8]-**إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي:** كان في حامية تلمسان جماعة من بقايا لمتونة تجافت الدولة عنهم فأثبتهم عبدالمؤمن في الديوان وجعلهم مع الحامية، وكان زعيمهم في ذلك الوقت إبراهيم بن إسماعيل علان الصنهاجي وهو من شفع في مشيخة بني عبدالواد المعتقلين، وحاول إحياء الدولة اللمتونية المرابطية.ينظر: عبدالرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص:87.

من ذلك، إذ خلع طاعة الموحدين وطمح إلى إحياء الدولة اللمتونية[1]، ورأى أن ذلك لا يأتي له إلا بالقضاء على جابر بن يوسف ومشيخة بن عبدالواد، وتحقيقا لغايته أراد التحايل على مشايخ القبيل لقتلهم، فأعدلهم وليمة دعاهم إليها بغرض تصفيتهم عند وصولهم[2]، لكن المشايخ كان قد بلغهم ما غزم عليه، فتوقفوا خارج البلد يأتمرون وبلغه قدومهم، فخرج إليهم مسرعا يستقبلهم فوقع هو وأصحابه أسرى بين أيدي بني عبدا لواد[3]، فدخل جابر بن يوسف تلمسان وأعلن الدعوة للمأمون وبعث إليه معلنا الطاعة[4] فعهد له المأمون بولاية تلمسان وتسير أمورها ومايليها من بلاد زناته سنة 627هـ/1229م[5]، وبالتالي أصبح بنو عبدا لواد سادة على تلمسان وضواحيها، فكانت بذلك خطوة الأولى نحو تأسيس دولتهم، فحاول جابر بن يوسف توسيع نفوذه، وإخضاع جيرانه فأطاعه كثيرون فقصد أهل ندرومة يطلب منهم الطاعة فأبوا، فحاصر المدينة لكنه قتل حول أسوارها بسهم (يوسف الغفاري التلمساني)[6]، فورثه ابنه الحسن لمدة ستة أشهر، ثم تخلى عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف ويقول في ذلك ابن خلدون:"إنه تخلى عن منصبه بسبب ضعف على الأمر"[7]، أما التنسي فيذكر:"ثم خلع نفسه لعمه عثمان لكبر سنه"[8].

ولكن عثمان هذا لم يحسن التصرف في إدارة إمارة تلمسان، فعزل من قبل رعيته بعد عام ونصف لسوء حكمه، فآلت السلطة إلى أبي عزة زيدان أو زكران بن زيان[9] غير أن بني مطهر[10]

---

[1] -**الدولة اللمتونية**: كانت تتمتع قبيلة لمتونه بمكانة مرموقة بين مختلف القبائل المجاورة لها، ذلك لما تمتعت به من سيادة وزعامة، إذ حاول عبد الله بني ياسين زعيم المرابطين نقل الزعامة من قبيلة جدالة إلى قبيلة لمتونه، وظلت الزعامة موجودة ممثلة في أسرة يوسف بن تاشفين حتى سقطت الدولة المرابطين على يد الموحدين، ينظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص:314. وينظر أيضا:حسن علي حسن:الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م، ص:296.

[2] -التنسي: المصدر السابق، ص ص:112-114.

[3] -التنسي: المصدر نفسه، ص:115.

[4] -يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص:106، 107.

[5] -عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني (حياته، وآثاره)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص:12.ينظر:مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق، ج2، ص:329.

[6] - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الأمة، الجزائر، (د، ط)، 2010م، ص:142.

[7] -عبد الرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص:74.

[8] -التنسي: المصدر السابق، ص:113.

[9] -**أبي عزة زيدان أوزكران بن زيان**: هو بن ثابت ابن محمد ملك بعد عثمان بإجماع من قبيلة سوى بنو مطهر وكان مقدما غير هياب لعظائم الامور حاربه بنو راشد إلى أن قتلوه خارج تلمسان سنة 633هـ.ينظر: يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص:200.

[10] -**بني مطهر**: هي قبيلة من زناتة ومن أبناء عمومة بني عبدا لواد.ينظر: التنسي: المصدر السابق، ص:113. وأيضا ينظر: ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص:150."و ينتمون لمطهر بن يمتل بن يزكن ابن القاسم بن عبد الواد ".

رفضوا مبايعته وحاربوه بمساندة بني راشد[1] وانتهت الفتنة بينهم بقتله سنة 633هـ/1235م، وبعده بويع بالإمارة أخوه يغمراسن تولى الحكم في سنة 633هـ/1235م، الذي تمكن من إخضاع بني مطهر وبني راشد وجمع كلمتهم في ظل الدولة العبد الوادية التي سارع يغمرا سن إلى إعلان استقلالها عن دولة الموحدين[2]، متخذا تلمسان عاصمة لبلاده[3]، فعمل على حسن السيرة في الناس تدبيرا وسياسة، وتنظيم قواته العسكرية بالإضافة إلى إعتنائه بالجهاز الإداري خاصة بعد إلغائه السلطة الفعلية للموحدين و لم يبقى لهم سوى التبعية الروحية خاصة في عهد الخليفة السعيد والدعاء له على المنابر أيام الجمعة والأعياد، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون:"...ومحا يغمرا سن آثار الدولة المأمونية وعطل الأمر والنهي باسمها و لم يترك من رسوم دولتهم وألقاب ملكهم إلا الدعاء على منابره للخليفة مراكش..."[4].

3-الحدود السياسية للدولة الزنانية:

قامت الدولة الزيانية في منطقة أطلق عليها المؤرخون بالمغرب الأوسط وكانت هذه الدولة تحتل موقعا جغرافيا وسطا بين الدولتين الحفصية[5]، والمرينية، فحدودها لم تكن ثابتة ومستقرة بل كانت تتقلص أحيانا وتتسع أحيانا أخرى حسب قوة وضعف سلاطينهاامتدت من واد ملوية غربا إلى الجزائر[6]، بني مزغنة شرقا[7].

---

[1]-**بني راشد:** سكنوا الجبل الذي كان يسمى باسمهم(عمور حاليا)، وسكنوا المناطق الواقعة بين وادي مينا ووادي سيق، إعتمد عليهم بنو عبد الواد في توطيد أركان دولتهم.ينظر:عبد الرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص:315.

[2]- التنسي: المصدر السابق، ص:113. ينظر أيضا: يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص ص:204، 205.

[3]- خالد بلعربي:الدولة الزيانية في عهد يغمرا سن (دراسة تاريخية وحضارية)، 633هـ -681هـ/1235م -1282م، دار الألمعة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011م، ص:77.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص:162، 163.

[5] - **الحفصية:** تنسب إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي المصمودي، من أصحاب المهدي بني تومرت العشرة، كانت له مكانة في الدولة الموحدية ولأبنائه من بعده، فقد تداولوا على الرئاسة ويعتبر أبو زكريا الحفصي المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية إستقل بإفريقية سنة 626هـ.ينظر:عبدالواحد المراكشي:المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح:محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر، القاهرة، (د، ط)، 1994م، ص ص:189، 190.أيضا ينظر: عبدالرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، مج13، ص ص:593-594.

[6] - **الجزائر:**معناها الجزر سميت كذلك لأنها مجاورة لجزر ميورقة اليابسة ويسميها الإسبان ALGER و هي مدينة قديمة البناء، بنتها قبيلة إفريقية تدعى مزغنة فسميت الجزائر بني مزغنة . الحسن الوزان : المصدر السابق، ج2 ، ص:37.

[7] - عبد العزيز الفيلالي: تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية و عمرانية و إجتماعية و ثقافية)، ج1، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002م، ص:43.

كانت تحدها من الجهة الشرقية الدولة الحفصية، فقد بلغت إلى أطراف بجاية[1] وبلاد الزاب وهو أقصى اتساع لها في الناحية الشرقية[2] ، أما من الجهة الغربية فوصلت حدودها إلى واد "ز" أو"صا"[3]، ونهر ملوية وفجيج[4]، في الجهة الغربية إلى بلاد تاوريرت[5]، بينما بلغت من الناحية الجنوبية إلى نواحي ورجلان[6] وغرداية وتوات[7]، وقد أطلق عليها "الحسن الوزان" بصحراء نوميدية ما بين بلاد المغرب في الشمال وبلاد السودان[8].

بعد اعتلاء السلطان أبي سعيد عثمان[9]بن يغمراسن العرش، أخذ في التوسع من الجهة الشرقية تطبيقا لوصية والده وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون:"يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية، وعلى حضرة الخلافة بمراكش[10]، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا الوفود مددهم، ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها فإياك واعتماد لقائهم وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عاملات الموحدين وممالكهم، يستفحل به ملكك وتكافئ حشد العدو بحشد ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك"[11].

---

[1]- **بجاية:** مدينة قديمة عاصمة لدولة بني حماد.وصارت خلال القرن 8 هـ /14م عاصمة للحفصيين وعرفت ازدهارا تجاريا وثقافيا ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص:50

[2]- أبو العباس القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، (د، ط)، 1333هـ/1915م، ص:149 .

[3]- زا أو صا: نهر ينبع من الاطلس و يسيل بسهل قفر أنكاد في الحد الفاصل بين مملكتي فاس و تلمسان. ينظر: الحسن الوزان :المصدر السابق، ج2، ص:250.

[4]-**فجيج أو فكيك**:عبارة عن ثلاث قصور في وسط الصحراء، وهي على بعد 250ميلا شرق سجلماسة، قصورها كثيرة أشهرها سبعة.ينظر:الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص:132-139.

5 –**تاوريرت**:تقع هذه المدينة الأن غرب مدينة وجدة ب:136 كلم.ينظر:عبد الرحمن الجيلالي:تاريخ الجزائر العام، ج2، المكتبة الوطنية، الجزائر، (د، ط)، 1965م.

6-**ورجلان**: سماها الحسن الوزان وركلة. حيث قال:"وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا".ينظر: المصدر السابق، ج2، ص:136.

[7] **توات**: أصل كلمة توات عند السعدي جاء من منطقة التكرور، فالسلطان كنكان موسى حاكم مالي لما حج مر بإقليم توات فأصاب الكثير من أصحابه مرض يأتي في الأرجل يسمى التوات في لغة صنغاي.ينظر: عبد الرحمن السعدي:تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981م، ص:07.

[8]-الوزان، المصدر السابق، ج2، ص:07.

[9]-**أبي سعيد عثمان**: بويع بتلمسان بعد موت أبيه 681هـ، ومات بها عام 693هـ في حصار السلطان أبي يعقوب ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني.ينظر: ابن الأحمر أبو الوليد: روضة النسرين في دولة بني مرين. تح: الوهاب منصور، المطبعة الملكية الرباط، (د، ط)، 1962م، ص ص:49، 50.

[10]-**مراكش**: من مدن المغرب الأقصى اختطها لمتونه ثم ملكها المصامدة، وزادوا فيها، ينظر: المراكشي عبد الواحد:المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر، القاهرة، (د، ط)، 1994م، ص:567.

[11]-عبد الرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص:189، 190.

لقد ركز أغلب خلفاء الدولة الزيانية إهتمامهم نحو التوسع إلى الجهة الشرقية على حساب الدولة الحفصية لاسيما في عهد كل من عثمان بن يغمرا سن وأبي زيان محمد[1]، وأبي حمو الأول[2]، وابنه أبي تاشفين الأول[3]، فقد استطاعت الجيوش الزيانية في عهد أبي حمو الأول وأبي تاشفين الوصول إلى الأراضي الحفصية وضايقت مدنها بجاية وقسنطينة[4] وعنابه[5] ، وخنقتها عدة سنوات حتى وصلت إلى مدينة تونس[6] ، عاصمة الحفصيين[7].

في عهد أبي تاشفين الأول، لكنها تراجعت إلى أطراف بجاية وهو أقصى إتساع لها في المنطقة الشرقية[8]، كما إمتدت حدودها من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى غاية الصحراء الكبرى[9]، التي تفصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي[10] ، من الجنوب، تلك هي الحدود التي استمرت عليها الدولة الزيانية في أغلب الأحيان طوال وجودها على الرغم من تعدد الهجمات والغزوات عليها من قبل المرينين والحفصيين[11].

---

[1]-**أبي زيان محمد:** هو أبو زيان محمد بن أبي عثمان ولد سنة (659هـ/1262م)، بتلمسان وكانت مبايعته إثر وفاة والده يوم الأحد ذي القعدة 703هـ - 6جوان 1304م، كان مشهور بالحزم ورقة الحاشي، توفي في شهر شوال (707هـ/1307م). ينظر: التنسي: المصدر السابق، ص:131، وأيضا: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص:121-224.

[2]-**أبي حمو موسى الأول:** هو بن عثمان بن يغمرا سن رابع سلاطين بني عبد الواد، ولد سنة 665هـ كان فض غليظا حازما.ينظر: ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تق وتح وتع:هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2001م، ص:71. ينظر أيضا: ابن احمر: روض النسرين، ص:102.

[3]-**أبي تاشفين الأول:** هو أبو تاشفين عبد الرحمن الأول ابن السلطان أبو حمو موسى الأول ولد سنة 692هـ/1293م، بويع يوم الخميس 23جمادى الأول718هـ/23جوان 1318م، وقد عرف بميله الشديد وتعلقه بالفنون الجميلة. ينظر: يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص:21.

[4]-**قسنطينة (سيرتا):** مدينة قديمة بناها الرومان تقع على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية ، بها بناءات ودور كالجامع الكبير.ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص:55، 56.

[5]-**عناية أو بونة:** من بلاد إفريقية قريبة من فحص قل وهي مدينة قديمة من بناء الأول وبها آثار كثيرة وهي على ساحل البحر في نشر من الأرض مشرف على البحر وعلى فحوصها و قراها وهي من أنزه البلاد وأكثرها بناء و لحما وعسلا وحوت والبحر يضرب سورها بها مساجد وأسواق وحمام ذات تمر وزرع حولها قبائل كثيرة من البربر مصمودة.ينظر: الحميري محمد عبد المنعم:الروض المعطار في خبر الاقطار، تح:إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، 1985م، ص:115.

[6]-**تونس:** كانت لها أهمية خاصة بعد تأسيس القيروان سنة 50هـ، التي صارت عاصمة افريقية وبلغت أوجها أيام ملوك الأغالبة قرن 3 هـ كانت مركزا هاما ثقافيا وصناعيا.ينظر: ياقوت الحموي:معجم البلدان مج2، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1988م، ص:432.

[7] -عبد العزيز الفيلالي:المرجع السابق، ج1، ص:45.

[8] -التنسي: المصدر السابق، ص ص:137.وأيضا.ينظر: يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص:218.

[9] -الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص:08.

[10] -القلقشندى:المصدر السابق، ج5، ص:149.

[11] -عبدالعزيز الفيلالي:المرجع السابق، ج1، ص:45.

4-علاقات الدولة الزيانية مع جيرانها:

أ-مع الدولة الحفصية:

غلب على العلاقات الزيانية الحفصية الصراع و التنافس، فقد إعتبرت الدولة الحفصية نفسها أن لها الحق في وراثة الدولة الموحدية في المغرب و الأندلس بعد إنهيارها [1] ، وذلك بتعيين أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص من قبل الموحدين على ولاية إفريقية، فأراد الحفصيون القضاء على الدولة الزيانية والمرينية التي إنفصلتا عن الدولة الموحدية [2].

بدأت العلاقات بين الطرفين بمواجهات عسكرية، بتحرك الحفصيين ضد الدولة الزيانية ودخلوا عاصمتها –تلمسان –سنة 639هـ /1241م[3]، وجاءذلك كرد فعل على الإتفاق الذي إنعقد بين يغمراسن بن زيان و الرشيد الخليفة الموحدي، لمساعدتهم لإستعادةسيطرتهم على المغرب وإخضاع كل من الدولة المرينية و الحفصية لطاعة الموحدين [4]، وكانت هذه الحملة في سنة 640هـ بزعامة ابي زكريا الذي تمكن من دخولها وإرغام يغمراسن بن زيان على الخروج منها واللجوء إلى جبل قريب [5] ، بني ورنيد[6]، تاركا عاصمته، في يد أبي زكريا الذي عرضها بدوره على ولاته فرفضوا ذلك خشية من يغمراسن، لكنه أعادها ليغمراسن للمرة الثانية، فقال أبو زكريا:"ليس لها إلا صاحبها "[7] ، ثم عاد يغمراسن لحكم مدينة تلمسان وضواحيها بعد أن تفاوض مع "سوط النساء"والدة يغمراسن مع السلطان أبي زكريا الحفصي [8]، مقابل أن يقطع ابنها صلته نهائيا بمراكش، ويصبح تابعا للحفصيين ويخطب باسمهم نظير التأييد الحفصي[9] ، وأصبحت تلمسان

---

[1]- أحمد شلبي:موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ج4، النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1982م، ص:211.

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون:تاريخ دولة بني زيان (مقتطف من كتاب ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وكتاب تاريخ الدولة الزيانية لإبن الأحمر، تق، تح:عبد الحميد حاجيات، دار مدني، تلمسان، (د، ط)، 2012م، ص:59.

[3]- محمد عمرو الطمار:تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (د، ط)، 1984م، ص:80.

[4]-يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج2، ص:20.

[5]-محمد عمرو الطمار:المرجع السابق، ص:80.

[6]-**بني ورنيد**:هو جبل يقع على بعد نحو ثلاثة أميال من تلمسان، وهو كثير السكان، ينتج كمية وافرة من الفواكه لاسيما التين و الكرز، ينظر:الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص:44.

[7]-يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج2، ص:29.ينظر أيضا:عبد العزيز الفيلالي:المرجع السابق، ص:22.

[8]-**أبي زكريا الحفصي**: هو المولى أبو زكريا يحيا ابن المولى أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص، ولد بمراكش سنة 599هـ/1203م، بويع له عام625هـ/1228م، بالقيروان ثم جددت له بتونس، سمي بالأمير وتوفي سنة 647هـ/1249م، ينظر:ابن الشماع، المصدر السابق، ص54-60.

[9]- يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص:205.

بمثابة ولاية حفصية[1] إلى أن عزم الخليفة الموحدي أبو الحسن علي السعيد، على التحرك نحو مدينة تلمسان للقضاء على الدولة الحفصية وفي نهاية 645هـ لكن أبا يحي يغمراسن لم ينتظر وصوله بل خرج إليه وفاجأة في الطريق بالقرب من جبل "تميز جرجت"[2]. ودارت بينهما معركة سنة 646هـ/1248م، قتل على أثرها أبو الحسن، وعاد الزيانيون إلى سابق ولائهم للحفصيين وأعلن بنو زيان تمسكهم بالخليفة أبي زكريا الحفصي أبي عبدالله محمد[3].

إستغل يغمراسن بن زيان ظروف الدولة الحفصية الصعبة التي كانت تمر بها، والمتمثلة في الجملة التي قام بها لويس التاسع ملك فرنسا على تونس[4] ، فتمكن من الإستيلاء على مدينة مليانة[5] 668هـ/1269م، ثم محاصرة مدينة بجاية سنة 686هـ/1287م وإخضاع قبيلتي مغراوة وتوجين اللتين كانتا تؤيدان الحفصيين، غير أن المرينيين حاصروا تلمسان سنة 698هـ/1298م ولهذا حاول الزيانيون استرجاع عاصمتهم وفك الحصار المريني الطويل عنها من 98هـ/1298م إلى غاية 706هـ/1306م، وحاولت الدولة الحفصية الدفاع عن تلمسان أمام الحصار المريني فأرسلت جيشا لفك الحصار إلا أنه إنهزم في موقعة عرفت باسم مرسى الرؤوس في منطقة الزاب[6] وبسبب هذه الحارثة قام السلطان الحفصي بتوطيد صلاته بالسلطان المريني مما أدى بالزيانيين إلى قطع الدعوة للحفصيين في منابر تلمسان[7] وقطع حبل التبعية التي كانت تربطها ببعض[8].

---

[1] -عبد الله العروي:مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م، ص:356.

[2] - **تميز جرجت:** هي قلعة حصينة تقع جنوب وجدة قرب جبل العصفور في الحدود الجزائرية المغربية. ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص:169، 168.

[3] - عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ دولة بني زيان (مقتطف من كتاب ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر...)، ص:135.فما بعدها : ينظر أيضا: عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق ج2 ، ص: 106.

[4] - خالد بالعربي:المرجع السابق، ص:155.

[5] **-مليانة:** مدينة قديمة بناها الرومان وأطلقوا عليها اسم ماكنانة، تقع في سفح جبل زكار الغربي على بعد نحو أربعين ميلا من البحر وجبل زكار ملئ بالعيون ومكسو بأشخار الجوز. ينظر: الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص:33.

[6] -عبدالرحمن الجيلالي:المرجع السابق، ج2، ص:107.

[7] -عبدالرحمن الجيلالي:المرجع نفسه، ج2 ، ص:106.

[8] - عبدالرحمن ابن خلدون:تاريخ دولة بني زيان (مقتطف من كتاب العبر الدولة الزيانية بتلمسان لابن الاحمر) المصدر السابق، ص ص:135، 136.

وبعد سنة 706هـ/1306م، بدأ الزيانيون يمدون نفوذهم على حساب الحفصيين حيث قاموا بمهاجمة تونس مستغلين أوضاع الحفصيين المتردية وقد تمكنوا من السيطرة على مدينتي دلس والجزائر سنة 712هـ[1].

وبعد هذه السنة توالت حملات الزيانيين العسكرية على الدولة الحفصية و المتمثلة في الحملة التي جهزها أبو تاشفين الثاني بقيادة موسى بن علي الكردي، فإلتقى بالجيش الحفصي الذي كان يقوده أبو يحي أبو بكر الحفصي برغيس قرب مرماجنة[2] ، في شهر شعبان عام 724هـ/1323م، انهزم فيها الجيش الزياني وفر قائدها إلى تلمسان وفشلت الحملة في الإستلاء على مدينة بجاية [3]، كما تواصلت الحملات العسكرية نحو الدولة الحفصية سنة 726هـ، 728هـ و729هـ، وفي الأخير تمكن الجيش الزياني من دخول تونس في شهر صفر في سنة 730هـ/1329م، وسلمت مقاليد الحكم لأبي عمران[4] سرعان ما استعاد السلطان الحفصي عاصمته في نفس السنة[5] ، ولوضع حد لهذه الحملات إستنجد السلطان الحفصي بأبي سعيد المريني، فعقد الطرفان إتفاقية لمواجهة الزيانيين[6]، ومن هنا بدأت المضايقات الحفصية على أبي مالك عبد الواحد الزياني 814هـ-827هـ /1411م-1428م، الذي نصبه المرنيون خلفا لأخيه سعيد[7]، وكانت أول حملة حفصية على تلمسان في سنة 827هـ/1422م[8]، بأكثر من خمسين ألف جندي[9] ، وفي عهد أبي فارس عبد العزيز الحفصي الذي عزل سلطان الدولة الزيانية، أبا مالك عبد الواحد بن أبي حمو الزياني ونصب عليها الأمير أبا عبدالله[10] ، محمد الزياني ليعزل فيما بعد ولينصب بدله أخوه أبو العباس أحمد بن أبي حمو الزياني الملقب بأحمد العاقل[11] ، الذي سيعزل فيما بعد[12].

---

[1]-الزركشي:المصدر السابق، ص ص:61، 62.

[2]-مرماجنة:هي مدينة كبيرة قديمة أزلية آثار الأول ولها عيون سائحة وهي على نظر واسع كثير الزرع والخيرات.ينظر:مؤلف مجهول:الإستبصار في عجائب الأمصار، تح:سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، (د، ط)، 1968م، ص:162.

[3]-عبد الرحمن ابن خلدون:العبر، ج6، المصدر السابق، ص ص:763، 764.

[4]-**أبي عمران**: هو محمد ابن أبي بكرصهر ابن اللحياني الحفصي وإشتهر بابن أبي عمران وكان يعيش في بلاط الزياني منذ سنوات.ينظر: الزركشي:المصدر السابق، ص:65.

[5]-يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص:218.

[6]-تمت هذه الإتفاقية خلال سنة 730هـ/1329م. ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج6، ص ص:776-778.

[7]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص:218.

[8]- التنسي: المصدر السابق، ص:149.

[9]- عبدالرحمن الجيلالي:المرجع السابق، ج 2، ص:295.

[10]- التنسي:المصدر السابق، ص:149.

[11]-التنسي: المصدر نفسه، ص:247.

[12]-بن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح:محمد شمام، (د.ط)، تونس، 1967م، ص:160.

لقد استخدمت الدولة الحفصية أكثر من أسلوب ضد الدولة الزيانية، حتى يكون الحفصيون أسياد في المغرب الإسلامي، فقد استخدموا القبائل العربية لإجبار السلطان أحمد المتوكل سنة 868هـ/1465م ، على العودة للدعاء للسلطان الحفصي بعد ما حاول الإستقلال بالدولة الزيانية عنهم[1].

كما لجأت الدولة الحفصية إلى وضع إتفاقيات ومعاهدات مع الدولة الزيانية والمتمثلة في أخذ رهائن زيانية، مثلما حدث مع السلطان محمد المتوكل سنة 870هـ/1460م، عندما أجبرته الدولة الحفصية على توقيع صلح بشروط أثناء حصارهم لتلمسان[2]، مما أجبره على الاستمرار بالدعوة لهم لغاية وفاته سنة 890هـ/1478م.

لقد عرفت العلاقات الزيانية الحفصية نوع من الفتور وذلك بسبب تعرض المغرب الإسلامي للخطر الإسباني، خاصة بعد سقوط غرناطة، تحت سيطرة النصارى المسيحيين 897هـ/1492م[3]، إذ بدأ المغرب يجمع قواه للدفاع عن سيادته واستقلاله في المنطقة من الخطر الإسبان.

ب/مع الدولة المرينية:

اتسمت العلاقات الزيانية المرينية بالعداء الشديد و ذلك راجع للحملات و الحصار المريني لتلمسان لعدة مرات، كان مبعثها المنافسة على رئاسة زناتة والتطلع إلى السلطان عل المغرب الإسلامي، ولهذا لم يرى المغرب الأوسط طيلة هذه الفترة مسالمة وقد زاد هذا التنافس في عهد السلطان يغمراسن الزياني الذي انتهج سياسة تهدف إلى بسط نفوذه على الجهات الغربية وبالتالي الاستيلاء على تاوريرت[4] ، حتى تازة[5] ، غير أن هذا التنافس يشتد أكثر بعد مقتل الحسن بن السعيد الأمير الموحدي على يد بني عبدالواد بضواحي تلمسان[6]، فانتهز بنو مرين الفرصة واستولوا على جميع ما كان للموحدين بالمغرب الأقصى، فأسرع سلطانهم الأمير أبو بكر ابن عبد الحق المريني إلى

[1]- الزركشي:المصدر السابق، ص:155.

[2]-قام السلطان محمد المتوكل: بطرد العمال الحفصيين من تلمسان والمغرب الأوسط ورفض الدعوة لهم على منابر تلمسان فأدى إلى حصار الحفصين لتلمسان. ينظر: عبدالرحمن الجيلالي:المرجع السابق، ج 2، ص:201.

[3]-التنسي: المصدر السابق، ص:119.

[4]-عبد الرحمن ابن خلدون:مقتطف من كتاب العبر والدولة الزيانية بتلمسان لابن الاحمر المصدر السابق، ص:67.

[5]-**تازة:** مدينة كبيرة لا تقل بناها عن قوتها، وتعيش في رخاء على أرض خصبة أسسها الأفارقة القدماء على بعد خمسة أميال من الأطلس و تبعد تقريبا عن فاس بنحو 50 ميلا و عن البحر المحيط بـ: 130 ميلا، وعن البحر المتوسط بـ: 7 أميال مرورا بصحراء كرط. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص354.

[6]-يحي ابن خلدون:المصدر السابق، ج1، ص:104-109.

تلمسان لمحاربة السلطان يغمراسن وكسر شوكته قبل أن يعظم شأنه في المنطقة فالتقى الجمعان بنهر إيسلي[1] ، قرب مدينة وجدة سنة 646هـ/1248م، وفي هذه المعركة إنهزم الزيانيون وولوا الأدبار[2] ، وفيها قتل ابن يغمرا سن أبو عنان[3] وفر يغمرا سن في فلوله نحو تلمسان تاركا محلته بما فيها نهبا وسلبا لبني مريني[4].

تكرر اللقاء العسكري بين الطرفين سنة 666هـ/1268م، عندما استنجد الخليفة أبو دبوس الموحدي سلطان تلمسان لصد الحصار المريني على مراكش في موقعة وادي تلاغ والتي إنهزم فيها الجيش الزياني ومقتل الأمير عمر ابن السلطان الزياني[5].

وفي سنة 670هـ/1271م التقى الجمعان في معركة إيسلي الثانية بين يغمراسن وأبو يوسف يعقوب قرب وجدة وكان من نتائجها هزيمة الزيانيين[6].

وفي سنة 673هـ/1274م، وقع صلح بين السلطان يغمراسن والأمير أبو يوسف الذي طلب ذلك حتى يتمكن من العبور إلى الأندلس لقتال النصارى ونجدة المسلمين بها[7] ، حيث جرت أول معاهدة لعقد الصلح بين الطرفين سنة 670هـ/1271م، إلا أن السلطان يغمراسن رفض الصلح في بداية الأمر قائلا:

فلا صلح حتى نروي السيف والقنا وتأخذ عبدالواد منكم ثبارها

واشفي غليلي من مرين حين طغت وبسبي غوانيها وقتل خيارها[8]

إلا أن هذا الصلح لم يدم طويلا، إذ قامت الدولة المرينية بمهاجمة تلمسان سنة 680هـ/1280م، بحجة الاتفاق بين الدولة الزيانية وبني الأحمر ضد الدولة المرنية[9] ولتحسين

---

[1]-ابن أبي زرع علي الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية.تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط (د.ط)، 1972م، ص ص:129-135.

[2]-ابن ابي زرع علي الفاسي:الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص:305.

[3] -محمد عمرو الطمار:المرجع السابق، ص:86. ينظر أيضا محمد بن رمضان الشواش: باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بن زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1995م، ص: 80.

[4]-حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، مج2، دار العصر، لبنان، ط 1، الجزائر، 1992م، ص: 129

[5]-ابن أبي زرع علي الفاسي:الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص:609.

[6]-الناصري:الإستقصا، المصدر السابق، ج3، ص:25.

[7]-عبد الرحمن ابن خلدون: مقتطف من كتاب العبر والدولة الزيانية بتلمسان لابن الأحمر المصدر السابق، ص:67.ينظر أيضا: محمد عيسي الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني ، دار العلم، الكويت ، ط2 ، 1987 م، ص: 201.

[8]-مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج2، ص:422.

[9] -ابن أبي زرع :الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص ص: 335-339.

علاقتها مع بني مرين، أوصى يغمراسن أبنائه بعدم التعرض لهم وهذا ما دفع السلطان عثمان ابن يغمراسن لعقد الصلح مع السلطان يعقوب المريني سنة 683هـ/1285م[1].

وفي سنة 698هـ/1299م، بدأت الدولة المرينية بتشديد الحصار ضد تلمسان، حيث فرض عليها حصار طويل، فبدأ المريني ببناء أسوار حول المدينة من أجل حصار سكانها داخلها والتحكم بالداخل والخارج من المدينة، ومحاربة الجيش الزياني داخل الأسوار والقضاء عليه، وقد بني الجيش المريني قرب تلمسان مدينة جديدة تبعد عنها مسافة ميلين وأطلق عليها اسم المنصورة[2] ، أو تلمسان الجديدة[3]، كمعسكر للجيش[4]، وقد أثر هذا الحصار على سكان تلمسان[5] ، من جميع النواحي فمن الناحية السياسية، فقدت الدولة الزيانية جميع المناطق التابعة لها داخل المغرب الأوسط[6] أما من الناحية الاقتصادية فقد ارتفعت الأسعار بسبب انقطاع البضائع السلع الواردة إلى المدينة فيذكر ابن خلدون في هذا الصدد:"بلغ مكيال القمح ومقدار اثنا عشر رطلا مثقالين ونصف من الذهب العين..."[7] ، وبذلك فقدت الدولة الزيانية مكانتها التجارية أثناء الحصار الطويل لعدم دخول القوافل التجارية إليها، أما من الناحية الاجتماعية، فقد تناقص عدد السكان بسبب الهجرة أو الموت فقد مات في المدينة أثناء الحصار أكثر من مئة وعشرين ألف شخص[8]، بعد مقتل السلطان أبي يعقوب المريني[9] ، فك الحصار عن مدينة تلمسان الذي دام ثمانية أعوام وأربعة أشهر وبضعة أيام[10].

عاودت الدولة المرينية حملة ضد تلمسان في سنة 732هـ/1331م، وحاصرتها إلا أنها فشلت بسبب قيام الأمير أبي علي شقيق السلطان بثورة ضد شقيقه السلطان أبي الحسن في منطقة سجلماسة بدعم من الدولة الزيانية، مما إضطره إلى ترك الحصار والتحرك للقضاء على الثورة[11].

---

[1] -محمد عمرو الطمار:المرجع السابق، ص:97، 98.

[2] -التنسي: المصدر السابق، ص:129. ينظر: الناصري: الإستقصا، المصدر السابق، ج3، ص:79.

[3] -الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص:18.

[4] -عبد الرحمن الجيلالي:المرجع السابق ،ج 2، ص:270.

[5] -التنسي: المصدر السابق، ص:130.

[6] -ابن أبي زرع : الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص ص:129-135. أيضا: عبد الرحمن الجيلالي:المرجع السابق، ج 2 ، ص:103-104.

[7] -عبد الرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص:96.

[8] -التنسي: المصدر السابق، ص:132.

[9] -**أبي يعقوب المريني**: تولى الحكم في سنة 685هـ/1286م، قام بعدة حملات نحو الأندلس. ينظر: ابن أبي زرع : الانيس المطرب، المصدر السابق، ص:374.

[10] -يحي ابن خلدون :المصدر السابق، ج2، ص ص:121-126.

[11] -يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 1 ، ص:219.

وفي سنة 737هـ/1338م، تمكن السلطان الحسن علي بن عثمان من اقتحام مدينة تلمسان وانتزاعها من يد السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن الأول ابن أبو حمو موسى، ونجح هذا في بسط سيطرته على بلاد المغرب بالولاء والطاعة[1].

وفي عهد السلطان أبوعنان فارس المتوكل على الله المريني[2]، قام بالإستيلاء على مدينة تلمسان من يد أبي سعيد عثمان الثاني بن عبد الرحمن، وأصبح ملك بني زيان تحت سيطرته سنة 753هـ/1352م[3]، في موقعة إيسلي[4]، وإثر ذلك قبض على الأمير أبي سعيد ليقتل في نفس السنة[5]، على يد أبي عنان المريني الذي أعلن نفسه خليفة لأبيه أبي الحسن سنة 759هـ1358م، وبهذا أصبحت تلمسان تابعة لسلطة بني مرين مدة سبعة (7) سنوات، إلى أن تمكن أبو حمو موسى الثاني[6] ، إنتزاعها من المرينيين سنة 760هـ/1359م، و لم تدم سيطرته على المغرب الأوسط طويلا، إذ سرعان ما تمكن السلطان المغرب أبو فارس عبدالعزيز[7] ، في سنة 772هـ/1370م من الإستيلاء عل تلمسان إلى غاية 776هـ/1374م أي بوفاته وقد أرغم أبا حمو موسى الإعتصام بالصحراء تيقورارين[8] ، وبعدها تمكن هذا الأخير من الرجوع إلى تلمسان وإسترجاع عرش أسلافه، لكن المرينيين أثاروا ضده ابنه أبا تاشفين وخاض حربا ضد ابنه، التي راح ضاحيتها في المعركة "بني ورنيد" قرب جبل راشد في سنة 790هـ/1389م[9]، وبعد مقتل السلطان أبي حمو موسى الثاني تولى ولده أبو تاشفين عبد الرحمن الثاني حكم تلمسان في سنة 791هـ -

[1]-ابن الأحمر أبو الوليد:روضة النسرين، المصدر السابق، ص ص:26-52 .

[2]-**أبو عنان فارس المريني**: تولى حكم الدولة المرينية عام 752هـ/1351م، لقبه المتوكل على الله بويع في حياة أبيه و مات مخنوقا عام 759هـ. ينظر: محمد حجي:موسوعة أعلام المغرب، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1996،1م، ص ص:665، 666.

[3]- ابن الأحمر:روضة النسرين، المصدر السابق، ص:35.

[4]- حاجيات عبد الحميد: المرجع السابق، ص:32.

[5]- الزركشي:المصدر السابق، ص:94.

[6]- **أبو حمو موسى الثاني**:ولد أبوحمو موسي الثاني بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن ابن يحي ابن يغمراسن سنة 703 هـ /1323م بغرانطة في الأندلس وعاد مع أبيه إلى تلمسان بعد سنة، نشأ بها وفي سنة 737هـ/1337م، إنتقل مع عائلته إلى فاس بأمر أبي الحسن المريني الذي ضم تلمسان آنذاك ، وعندما إسترجعها أبو سعيد عاد أبو حمو إلى تونس وفي سنة 758هـ/1357م، توجه إلى الجنوب فاشترك مع الدواودة في صد المرنيين هناك ولما وصل إلى الحضنة إلتقى ببني عامر الذين طردوا من مواطنهم في المغرب الأوسط، فتحالف شيخهم شقير معه وواصل طريقه غربا إلى تلمسان. ينظر:عبد الحميد حاجيات:المرجع السابق، ص ص:69، 70.ينظر:مؤلف مجهول:الحلل الموشية، المصدر السابق، ص ص:179-181.

[7]- **أبو فارس عبدالعزيز**:هو أبو فارس أحمد بن أبي العباس تولى أمر المرنيين من سنة 796هـ/1393م إلى 799هـ/1396م. ينظر: عبدالرحمن الجيلالي:المرجع السابق ،ج2، ص:112ن يحي بن يغمراسن سنة 703هـ/1323م.

[8]-حاجيات عبد الحميد:المرجع السابق، ص:129.ينظر أيضا:محمد بن رمضان الشاوش:المرجع السابق، ص:106.

[9]-عبدالرحمن ابن خلدون:مقتطف من كتاب العبر، المصدر السابق، ص ص:227-333.

795هـ/1386م -1392م، وأقام الدعوة بإسم السلطان أبي العباس أحمد ابن أبي سالم صاحب المغرب وخطب له على المنابر وظل على ذلك حتى وفاته عام 795هـ/1392م وبوفاته انتهت السيادة المرينية على تلمسان[1].

[1]-ابن الأحمر:روضة النسرين، المصدر السابق، ص ص:46-58.

2/المبحث الثاني:السودان الغربي (سياسي)

تقع بلاد السودان الغربي جنوب الصحراء الكبرى، و هي منطقة شاسعة تحتل مكانة كبيرة في قلب القارة الإفريقية، مما ساهم في تنوع تضاريسها و إختلاف مناخها و بالتالي تنوع تركيبتها السكانية، و في خضم هذا التنوع، لا بد من تحديد إقليم السودان الغربي جغرافيا، و لا يتأتى ذلك دون الحديث عن أصل تسمية الإقليم أولا:

1-التسمية والموقع الجغرافي:

أ- **التسمية:** إن تسمية " بلاد السودان" عند الجغرافيين و الرحالة، يراد بها أقاليم السودان الثلاثة المعروفة و هي:

1- السودان الغربي: و يشمل حوض نهر السنغال و المناطق المحيطة به، و غامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط (نيجيريا) [1].

2- السودان الأوسط: و يشمل حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها في إفريقيا الوسطي[2].

3- السودان الشرقي: و يشمل مناطق وادي النيل، وروافده العليا جنوب بلاد النوبة [3]، ويعرف عند العرب ببلاد الزنج[4].

هذا فيما يخص الكتابات العربية، أمّا عند الأوروبيين، فقد عرف هذا المصطلح باسم " غرب إفريقيا " أو "إفريقيا الغربية "[5]، فأطلق الفرنسيون السودان الغربي على ممتلكاتهم الواقعة غرب إفريقيا، و يستعملها الإنجليز للدلالة على ما كان يعرف لديهم بالسودان المصري، و هو ما يعرف حاليا بجمهورية السودان و جزء من أوغندا الشمالية[6].

---

[1]- للإطلاع على خريطة ممالك بلاد السودان الغربي. ينظر الملحق رقم :03 .

[2]- عبد القادر زبادية:مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493م/1591م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1989م ص:15.ينظر أيضا:كمال محمد الصاوي: تاريخ المسلمين في إفريقيا و مشكلاتهم، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، (د، ط)، 2008م، ص:63.

[3] - **بلاد النوبة:** تقع في جنوبي مصر مما يلي المغرب على ضفتي النيل و يحدها ناحية الشمال مصر و من الشرق أرض البجة و بحر القلزم، وقاعدتهم مدينة دنقلة (دمقلة). ينظر: نبيلة حسن محمود:تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (د، ط)، 2007م، ص: 70.ينظرأيضا:أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح اليعقوبي، كتاب البلدان، طبع بمطبع بريل، مدينة ليدن، (د، ط)، 1860م، ص ص:132، 133.

[4] - **بلاد الزنج:** هي أطول أراضي السودان، و هي لا تتصل بمملكة غير الحبشة ، وهي على بحر الهند في مواجهة اليمن و فارس و أرمان إلى أن تحاذي بعض أرض الهند.ينظر، نبيلة حسن محمود:المرجع السابق، ص: 71.

[5]- يحي بوعزيز:تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2001م، ص:09.

[6]- عبد القادر زبادية: "السودان الغربي و ممالكه الإسلامية "، مجلة التاريخ، ع: 09، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، ص:57.

أمّا عن أصل تسمية " بلاد السودان "، فهو مستوحى من لون بشرة سكان المنطقة، فالسودان تعني بلاد السود أي الجنس الأسود و هذا في مقابله " بلاد البيضان " أو بلاد البربر[1]، والتي يقصد بها المغرب و الصحراء فأطلقت هذه التسمية على الأقوام التي تقطن جنوب الصحراء الكبرى، و العرب أوّل من أطلق هذا اللفظ على كلّ السود الإفريقيين[2].

أمّا من الناحية الجغرافية، فبلاد السودان، هي كلّ الأقاليم شبه الصحراوية الواقعة في إفريقيا، شمال نطاق الغابات الإستوائية و التي إنتشر بها الإسلام ، الواقعة جنوب الصحراء الكبرى أي الأراضي الممتدة في الصحراء الإفريقية[3].

ب/الموقع الجغرافي:

حدد الجغرافيون والمؤرخون والرحالة العرب المسلمين في العصور الوسطى، الموقع الجغرافي لبلاد السودان الغربي، بقصد معرفة المنطقة، فقال عنها الجغرافي المقدسي في القرن (4هـ -10م) " وأمّا أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم، ومصر من قبل الجنوب، وهي بلاد مقفرة واسعة شاقة "[4]، أمّا ابن حوقل (4هـ، 10م)، الذي زار المنطقة في نفس الفترة فقد حددها: "وأمّا جنوبي الأرض من بلاد السودان، فإن بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط، بلد ملتف...وله حد ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب، وحدا له ينتهي إلى البرية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات"[5].

أما الإصطخري في منتصف القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي (4هـ - 10م) حدد المنطقة بقوله:" إنّه ليس في أي أقاليم السودان من الحبشة[6] ، والنوبة و البجة[7]، وغيرهم، إقليم أوسع منه، ويمتدون إلى قرب المحيط مما يلي الجنوب ومايلي الشمال على مفازة بينهما وبين أرض

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1968م، ص ص: 20، 21.

[2]- الدالي الهادي مبروك: التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999م، ص: 17.

[3]- محمود شاكر:السودان، المكتب الاسلامي، بيروت، ط2، 1401هـ، 1981م، ص:09.ينظر أيضا:نبيلة محمد حسن:المرجع السابق، ص:103.

[4] -المقدسي محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تق: شاكر لعيبي، دار السويدي، أبو ظبي، ط 01، 2003م، ص: 224.

[5]- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي:صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د، ط)، 1979م، ص: 24.

[6]- الحبشة: هو إقليم متسع الأرجاء، و أول بلادهم من الجهة الغربية التكرور مما يلي جهة اليمن و أولها من ناحية الشمال الشرقي بحر الهند واليمن. ينظر: نبيلة حسن محمود: المرجع السابق، ص: 70.

[7]- البجة: هو إقليم موجود في جنوب صعيد مصر مما يلي الشرق فيما بين بحر القلزم و بين نهر النيل هو بلاد البجة و قاعتهم مدينة سواكن و من مدن البجة أيضا العلاقة و هي أيضا بالقرب من بحر القلزم. ينظر: المرجع نفسه، ص: 70، ينظر أيضا: اليعقوبي: المصدر السابق، ص ص:132، 133.

الزنج، و ليس بها اتصال بشيء من المماليك و العمارات إلاّ من جهة المغرب لصعوبة المسالك بينها و بين سائر الأمم "[1] .

أما البكري (5هـ-11م)، "أطلق تسمية السودان على الجزء الغربي من القارة الإفريقية، و الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارق النوبة على النيل شرقا، اعتبرت مدينة سجلماسة[2] مدخلا له"[3] .

أمّا القزويني في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (7هـ-13م)، يذكر بلاد السودان الغربي بأنها "بلاد البتر" في جنوب المغرب[4].

و يذكر لنا القلقشندى في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي (8 هـ، 14 م) فحددها من الغرب بالبحر المتوسط، الشرق بحر القلزم[5]، مما يقابل اليمن و من الشمال براري تمتد ما بين مصر و برقة و بلاد البربر من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط و من الجنوب الخراب بالقرب من خط الاستواء[6].

فنجد الحسن الوزان الذي زار المنطقة خلال القرن العاشر الهجري، السادي عشر ميلادي (10هـ-16م)، الذي أعطى لنا وصفا دقيقا عن المنطقة بحكم زياراته المتعددة لها، فيبتدأ شرقا بمملكة كاوكة[7] ، و يمتد غربا إلى ممكلة وإيولاتن[8]، و يتاخم في الشمال صحراء ليبيا و ينتهي جنوبا إلى المحيط في مواقع غير معروفة[9].

---

[1]-الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم: المسالك و الممالك، تح:محمد جابر عبد العالي الحيمي، مر: محمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، ط1، 1961م، ص: 35.

[2]-**سجلماسة**: مدينة تقع في جنوب المغرب الأقصى، تقع على طرف بلاد السودان، و تبعد عن فاس بعشرة أيام ناحية الجنوب، ينظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق ج3، ص: 192، ويعرفها ابن عذارى في البيان: أنها مدينة تقع في جنوب المغرب على وادي ملوية، أنشأها الخوارج الصفرية سنة 140هـ، وأصبحت عاصمة دولة بني مدرار وظلت مركزا أساسيا من مراكز التجارة بين السودان الغربي وبين المغرب والأندلس.ينظر:ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص:215.

[3]- البكري:المصدر السابق، ص:837

[4]- القزويني أبو زكريا بن محمد بن محمود:أثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت) ص: 18.

[5]- **بحر القلزم**: يقصد به بحر العرب و حاليا البحر الأحمر، ينظر: ابن عبد الحكم: فتوح البلدان، تر: ألبرت جانو (د، ط)، 1948م، ص: 122

[6]- القلقشندي:المصدر السابق، ص:175.

[7]- **مملكة كاوكة**: يتاخم هذا الإقليم بورنوغربا و يمتد شرقا إلى حدود مملكة نوبة الواقعة على النيل، وينتهي جنوبا إلى الصحراء المتاخمة للنيل، ويسير شمالا إلى صحراء سرت ومصر ثم يمتد من الغرب الشرق على طول 804.60كيلو متر.ينظر:الحسن الوزان:المصدر السابق، ج1، ، ص:177.

[8]- **مملكة إيولاتن**: مملكة صغيرة ليس لها من الأماكن المسكونة سوى ثلاث قرى كبيرة، و أكواخ متفرقة بين حدائق النخل و تبعد حوالي 300ميل، جنوب نون وشمال تنبكتو100ميل من المحيط، المصدر نفسه، ج1، ص: 161.

[9]- المصدر نفسه، ج1، ص:33.

وبعد عرض أراء الرحالة و الجغرافيين نستشف أن بلاد السودان الغربي يحدها شمالا بلاد البربر، ومن الغرب المحيط الأطلسي، أمّا من الجنوب الشرقي الغابات الاستوائية، و تمتد شرقا إلى وسط إفريقيا والمناطق المحيطة ببحيرة التشاد بمعنى أنها تمتد من ساحل السنغال حتى حدود نيجيريا الشمالية المتمثلة في حوض نهر النيجر الأعلى و الأوسط[1].

أمّا الموقع الفلكي فهو محصور ما بين دائرتي عرض 4° و 16° شمالا خط الإستواء في الجنوب وخطي طول 13° و 17° غرب خط غرينتش[2].

ويشمل السودان الغربي، بمفهومه الواسع حاليا البلدان التالية: موريتانيا، الصحراء الغربية، مالي، السنغال و غامبيا وغينيا بيساو وغينيا وكوناكري وسيراليون و ليبيريا ، ساحل العاج وفولتا العليا، (بوركينا فاسو) و طوغو و بينين، نيجيريا، الكاميرون و الغابون و الكونغو الأوسط بالإضافة إلى النيجر و إفريقيا الوسطى و تشاد، في السودان الأوسط لإرتباطها بتاريخ السودان الغربي من الناحية الإسلامية[3].

ج/-إنتشار الإسلام في السودان الغربي:

1-السودان الغربي قبل ظهور الإسلام بها:

عرفت منطقة السودان الغربي عدة معتقدات منها: "الإحيائية "[4]، بالدرجة الأولي، و التي تمثل مجموعة من المعتقدات آمن بها المجتمع الإفريقي، كعبادة الأسلاف و يرمز إليهم بالحيوان أو النبات أو الجماد.[5]

وذكر البكري ديانات أخرى للسودان الغربي "...وديانهم المجوسية وعبادة الدكاكير..."[6]، وأشار الحسن الوزان في ذلك بقوله: "الأفارقة السودان كانو يعبدون كيغمو"ومعناه في لغتهم رب السماء"[7].

---

[1]- أحمد طاهر:إفريقيا فصول بين الماضي و الحاضر، دار المعارف، القاهرة، (د.، ط)، (د، ت)، ص: 66.

[2]- محمد فاضل علي وسعيد إبراهيم كردية:المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م، ص:19.

[3]-يحي بوعزيز:تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص ص: 9- 11.

[4]- **الإحيائية**: الإحيائيون يعتقدون أن للكون قوة خفية تحركه، و يتعين على المعتقد تحديد مسار حركتها بطقوس دينية ، و ذلك لمنع حدوث الكوارث التي يمكن أن تصيب الإنسان في نفسه أو ماله أو بنيه ينظر: عبد الرحمن عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع و المستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية:الجزائر، ط5، 1909، ص:10.

[5]- المرجع نفسه، ص:11.

[6]- **الدكاكير**: مفردها دكر و هو صنم.ينظر:البكري:المصدر السابق، ص: 172- 176.

[7]- الحسن الوزان: ، المصدر السابق، ج1، ص: 67.

بالإضافة إلى المسيحية التي نفدت إلى غرب إفريقيا عن طريق المسالك الرابطة بين بلاد النوبة و السودان الغربي عن طريق بحيرة التشاد، كما دخلت من المغرب بعض التأثيرات المسيحية جنوبا و اعتنقها سكان مملكة غانة منذ القرن الثالث الميلادي (3م) [1]، كما اعتنقوا الديانة اليهودية لعدة سنوات[2].

وعرفت المنطقة عدة عادات وتقاليد منها: -تقام احتفالات وطقوس عند ظهور الهلال، احتفال بالموسم الزراعي[3] ، بالإضافة إلى عادات الدفن التي يحظى به الملك في مملكة غانة [4]وهذه العادات تختلف باختلاف المكانة الاجتماعية الميت[5].

2- دخول الإسلام للمنطقة:

استطاع سكان السودان الغربي أن يتأقلموا و يتعايشوا مع طبيعة بيئتهم الصحراوية ويكونوا مجتمعا سودانيا، متميزا بطقوسه ومعتقداته التي ظل يتخبط فيها، إلى أن ظهر الإسلام وبدأ ينتشر إلى شمال إفريقيا ومنه إلى السودان الغربي و هناك روايات تقول بأن الإسلام دخل إلى المنطقة السودان الغربي ووسطه في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي (5هـ-11م)، كما هو معروف في بعض المصادر والمراجع، وهناك من يقول أنه نفذ في القرن نفسه الذي ظهر فيه و هو القرن الأول الهجري السابع الميلادي (1هـ-7م)[6].

عرفت إفريقيا الإسلام لأوّل مرة إبان البعثة النبوية التي سبقت الهجرة إلى المدينة حيث أشار النبي (محمد صلى الله عليه و سلم) على المسلمين بأن يخرجوا إلى الحبشة لأنه بها ملك لا يظلم عنده أحد و هي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا عما أنتم فيه[7].

كان أوّل من فتح العديد من المناطق عقبة بن نافع[8]، حيث وصل إلى وسط الصحراء الكبرى سنة 56هـ/666م وتوغل نحو الجنوب إلى أن وصل منطقة

---

[1]- حسن أحمد محمود:الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ط)، 2002م، ص: 122.

[2]- الحسن الوزان:، المصدر السابق، ج1، ص: 67.

[3]- عبد الرحمن عمر الماحي: المرجع السابق، ص ص: 12، 13.

[4]-البكري:المصدر السابق، ص: 178.

[5]- عبد الرحمن عمر الماحي: المرجع السابق، ص: 176.

[6]- عبد الرحمن عمر الماحي :المرجع نفسه، ص: 88.

[7]- محمد فاضل على باري و سعيد إبراهيم كرديه:المرجع السابق، ص: 31.

[8]- **عقبة بن نافع (ت: 63هـ-672م)**: هو عقبة بن نافع بن قيس الأموي القرشي الفهري، قائد و فاتح، ولد في حياة النبي صلي الله عليه وسلم و شهد فتح مصر ولاه معاوية افريقية سنة 50هـ/670م ثم عزله فعاد الى المشرق، ثم بعثه يزيد بن معاوية واليا على المغرب للمرة الثانية 62هـ/672م إستشهد سنة 63هـ/672م. ينظر: ابن قنفد القسنطيني (ت 809هـ/1406م):الوفيات، تح و تع: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط1، 1982م، ص ص:59، 60.

ودان[1]، وهي من مدن فزان الكبرى فافتتحها سلما، ثم وأصل سيره نحو الجنوب حتى وصل قصور، وإفتتحها هي الأخرى، ومنها واصل سيره حتى وصل ظهر جبل " قصبة الكوار"[2]وحسب رواية بن عبد الحكم، إن عقبة توقف عند هذه النقطة راجع لعدم كفاية معلومات دليله عن المناطق الجنوبية، مما صعب من مهة توغله في المناطق الصحراوية المجهولة لذا عاد أدراجه[3].

وهناك بعض المصادر التاريخية رجحت بأن حملة عقبة وصلت إلى غاية شمال بحيرة التشاد والمناطق المجاوة لها، وكانت المسافة التي تفصله عن إقليم كانم صغيرة جدّا [4].

بينما ذهب فريق آخر من المؤرخين إلى أنّ عقبة قد وصل إلى غاية أغمات[5]، وبهذا يذكر ابن عبد الحكم أن عقبة وصل الى البحر المحيط "الأطلسي "ومن هناك عرج نحو السوس وهو الأمر الذي أكده ابن خلدون[6].

ونستشف من هذا أن عقبة وصل إلى بلاد السوس الأقصى المتاخمة للحدود الشمالية لبلاد السودان الغربي، ومن هناك زحف جيشه إلى الجنوب إلى أن وصل إلى ممكلة غانة الوثنية، و هذا التسرب نحو الداخل تم بعد سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ/750م، وقيام الدولة العباسية وإضطهادها لأفراد البيت الأموي [7]، و في هذا الصدى يذكرلنا البكري رواية تقول:" أنه بلاد غانة قوم يسمون الهنّيهين من ذرية الجيش الذي كانو بنو أمية أنفذوه إلى غانة في صدر الإسلام "[8].

أما في عهد موسى بن نصير[9]، فإنّ المصادر التاريخية لا تذكر الكثير عنها، فلدى قدومه إلى المغرب الأقصي سلك نفس الطريق الذي سلكه عقبة للوصول إلى الحدود الجنوبية للمغرب

---

[1]- **ودان:** مدينة تقع جنوب إفريقية بينها و بين زويلة عشرة أيام.ينظر: البكري:المصدر السابق، ص: 140. مدينة " قيسبي" على بعد خمسة كيلومترات في الجنوب الغربي الأتي ينظر

[2]- **قصبة كوار:**تتطابق مع أطلال مدينة " قيسبي" على بعد خمسة كيلومترات في الجنوب الغربي الأتي ينظر: **C**aquery **V**idrovitch **H**istorie des villes d'afrique moire desorigines a la colonisations paris: EDALBIN ،**C**atherine MICHEL، 1993،P:118.

[3]- ابن أبي عبد الحكم (240ه/829م):فتوح مصر، و المغرب، تع:عبد المنعم عامر، مكتبة التحرير، القاهرة، (د-ط)، (د-ت)، ص:262 .

[4]- **كانم:** بكسر النون من بلاد البربربأقصى المغرب في بلاد السودان.ينظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج4، ص:432.

[5]- محمود حسن أحمد:المرجع السابق، ص: 77.

[6]- عبد الرحمن ابن خلدون: ج6، المصدر السابق، ص: 297.

[7]- عبد الرحمن عمر الماحي :المرجع السابق، ص: 68.

[8]- البكري: المصدر السابق، ص: 179

[9]- **موسي بن نصير (ت: 97هـ-716م)**:فاتح الأندلس، فتح إفريقية في خلافة عبد الملك بن مروان، و تابع فتوحاته في عهد الوليد بن عبد الملك، عزله سليمان بن عبد الملك. ينظر، خير الدين الزركلي :الأعلام، مج 7، دار العلم للملايين، بيروت، ط37 ، 1998م، ص: 541.

الأقصي وأشرف على حدود السودان الغربي من الناحية الشمال [1]، بعد أن أخضع بلاد المغـــرب الأقصى حتى المحيط الأطلسي[2]، وتوغل منها إلى سجلماسة في إقليم تافيلات وإستتب به الأمر نهائيا في طنجة التي كانت آهلة بقبائل صنهاجة، والقبائل المقيمة في بلاد السوس ووادي درعة ووصـــل إلى الضفة اليسرى من واد درعة[3].

أما في عهد الأدارسة كذلك لم تذكر المصادر التاريخية أي معلومة عن هذا الموضـــوع، إلا بعض التلميحات عن هاته العلاقة من خلال روايات الإدريسي وابن خلدون، والتي تقـــول عـــن وجود ذرية للأدارسة ببلاد السودان الغربي، فذكر الإدريسي أن ملوك غانة من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب "رضى الله عنه "[4]، لكن ابن خلدون نفي روايـــة الإدريسي [5].

وتشير هذه الروايات على وجود علاقات بين الطرفين من خلال الهجرات العلوية مملكـــة غانة، حيث وصل نفوذ الأدارسة إلى جنوب المغرب الأقصى أي لغاية الحدود الـــشمالية لـــبلاد السودان الغربي[6].

مع نهاية القرن الثاني الهجري الثامن ميلادي (2هـــ-8م)، تزعم القائد "تين يروتـــان"[7]، القبائل الصنهاجية في الصحراء، و هذا الأخير عمل على الجهاد في السودان الغربي، ووصل إلى نهر السينغال[8] وبوفاته تفككت القبائل الصنهاجية في الصحراء لمدة مائة وعشرون سنة[9].

---

[1]- عبد الفتاح مقلد الغنمي: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص ص:172-178 .

[2]- الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2 ، ص: 88.

[3]- **واد درعة:** نهر ينبع من الأطلس عند حدود هسكورة، و ينحدر إلى الجهة الجنوبية عبر إقليم درعة، و يمر في القفر منتشرا في البادية و يجـــف في فصل الصيف و يفيض في الشتاء. ينظر:الحسن الوزان: المصدر نفسه، ج2 ، ص: 254.

[4]- الإدريسي أبو عبد الله بن محمد الحموي الحسني (560ه/1166م):القارة الإفريقية و جزيرة الاندلس، مقتبس عن نزهة المـــشتاق في إختـــراق الأفاق، تح و تق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: ط1: 1983م، ص: 38.

[5]- ابن خلدون: العبر، المرجع السابق، ج5 ، ص: 931.

[6]- عبد الرحمان عمر الماحي : المرجع الساق، ص 89.

[7]-"تين بروتان " عند البكري: و "تنبروتان " لدي ابن حوقل، أما عند ابن خلدون و ابن زرع "تيولوتان". ينظر:البكري:المـــصدر الـــسابق، ص: 159، ابن حوقل: المصدر السابق، ص:98، ابن خلدون:العبر، ج6، ص: 372، وينظر ايضا:ابن أبي زرع:الأنس المطرب، المصدر السابق، ص: 159.

[8]- البكري: المصدر السابق، ص: 159.

[9]- ابن أبي زرع : الأنس المطرب، المصدر السابق، ص 125، ينظرأيضا:القلقشندي: المصدر السابق، ص: 184.

وفي القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي (5هـ-11م)[1]، عادت و توحدت هذه القبائل من جديد بزعامة ابو عبد الله بن تيفاوت المعروف " تادشت اللمتوني"[2]، الذي واصل الجهاد في بلاد السودان الغربي حيث وصل الى موضع يقال له " قنقارة " غرب مدينة "بانكلابين"، لكن جهاده لم يصل الى صحراء صنهاجة [3]، وبوفاته تولي يحي ابن ابراهيم الجدالي أمر صنهاجة من بعده، و بهذا إنتقلت الزعامة من المتونه إلى جدالة[4].

وفي سنة 427 هـ/1036م إستخلف يحي إبنه" ابراهيم " على رئاسة قبيلة صنهاجة ثم قصد الامير يحي بن إبراهيم الجدالي المشرق الإسلامي للحج و في طريق عودته مر بالقيروان ابن إلتقى بالفقيه أبي عمران الفاسي، فطلب منه يحي أن يوفد معه أحدا ليعلم صنهاجة أحكام الدين ويبصرهم بها، فكتب أبو عمران رسالة إلى الشيخ " وجاج بن زلو اللمطي " ، يطلب منه إرسال أحد تلامذته مع يحي فإنتدب عبد الله بن ياسين الجزولي لمرافقة الزعيم الصنهاجي [5]، إلى ديار لمتونة بالصحراء سنة 430هـ/1038م، و بسبب تشدده بتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية ثار عليه زعماء و فقهاء صنهاجة[6] و بهذا توجه إلى جزيرة قرب مصب نهر السنغال، وشكل رباطا بها[7]، وفي وقت قصير حتى إلتف حوله أعداد من الناس بعثهم ابن زرع بنحو ألف رجل[8] ، وقد نشطوا في نشر الإسلام و تعاليمه الصحيحة، أسلم على أيديهم الكثير من بربر الصحراء ثم إتجهوا بعد ذلك إلى الجهاد ضد مملكة غانة الوثنية و بلاد السودان الغربي عامة[9]، وتمكن عبد الله من أن يفتح مدينة أودغست سنة 446هـ/1054م[10]، وتمكنوا من إجتداب كثير من زعماء التكرور، حتى كان أول الشعوب التي إعتنقت الإسلام[11]، وفي إحدى المعارك التي خاضها عبد الله بن ياسين لقي حتفه على يد قبائل برغواطة سنة 451هـ/1059م ثم تولى أمر المرابطين بعده أبو بكر بن

---

[1]- أحمد شكري: مملكة غانة و علاقتها بالحركة المرابطية، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ، ط1، 1997م، ص ص:38 ، 39.

[2]- القلقشندي:المصدر السابق، ج 5، ص: 184.

[3]- البكري: المصدر السابق، ص: 164.

[4]- أحمد شكري: مملكة غانة، ص: 40.

[5]- ابن زرع:الأنس المطرب، المصدر السابق، ص: 122.ينظر أيضا:أحمد شكري: المرجع السابق، ص ص: 42، 43.

[6]- البكري:المصدر السابق، ص: 165.ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص: 121.

[7]- جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية (د-ط)، (د-ت)، ص:29.

[8]- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ، المصدر السابق، ص: 25.

[9]- جلال يحي: المرجع السابق، ص: 29.

[10]- عبد اللطيف عصمت دندش:دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ-515هـ /1038م-1121م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، ص: 150. ابن أبي زرع:الأنيس، المصدر السابق، ص: 135.

[11]- البكري: المصدر السابق، ص: 177.

عمر اللمتوني[1]، الذي واصل جهاده في بلاد السودان حتى وصل على مناجم الذهب، ويذكر ابن أبي زرع في كتابه قائلا: " إستقام له أمر الصحراء إلى جبل الذهب من بلاد السودان"[2]، وأوكل ابن عمه يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب[3] ، و توجه هو على ملوك غانة الوثنية، لكن هذه المبادرة لم تستمر خصوصا بعد لإستشهاده سنة480هـ/1087م، إلى أن تبناها يوسف بن تاشفين الذي كرس جهوده في نشر الإسلام في السودان الغربي، حتى إعتنق حكام إقليم كان جابا قبائل الماند نحو الإسلام[4] ، وقد أرسل المرابطون دعاتهم و علمائهم إلى بلاد السودان الغربي ولذلك استعانت قبائل الفلاني و الماند نحو، والتكرور بالدعاة من المرابطين لتعليمهم مبادئ الشريعة الإسلامية [5].

أما في عهد الموحدين فقد ساروا على نهج المرابطين في نشر الإسلام خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي (6-12م) بعد أن استتب لهم أمر المغرب الإسلامي حيث مدوا نفوذهم من طرابلس الغرب شرقا حتى مملكة غانة ووصولا الى إلى قلب القارة الإفريقية حيث مملكة الكانم [6]، كما سعوا إلى السيطرة على طرق القوافل التجارية المتجهة إلى بلاد السودان الغربي ومد حركتهم لنشر الإسلام نحو حوض السنغال ثم اتجهت الى الجنوب حتى منطقة الفولتا[7] بالإضافة إلى ظهور الحركة الصوفية في المنطقة التي عرفت انتشارا واسعا كالطلايقة القادرية [8].

كما عرف الإسلام إنتشارا عن طريق هجرات القبائل البربرية و العربية منذ القرن الأول الهجري والسابع ميلادي(1هـ-7م)، فمن القبائل البربرية نجد قبيلتا زناتة و صنهاجة بمختلف فروعها، وقد ساهما في تقلص الممالك الوثنية العديدة التي أقامها السودان على حافات الصحراء الجنوبية[9]، أما قبيلة زناتة فقد توقفت عند أطراف الصحراء الشمالية، بينما قبيلة صنهاجة قد

---

[1]- روسيل وورين هاو: تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، تر: عبد الوهاب محمد الزنتاني، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، (د، ط)، 2009م، ص: 57.

[2]- ابن أبي زرع: الأنس المطرب، المصدر السابق، ص: 136.

[3]- روسيل وورين هاو:المرجع السابق، ص: 58.

[4]- عطية الفيتوري مخزوم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 1998م، ص:114.

[5]- جلال يحي:المرجع السابق، ص: 29.ينظر أيضا: حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1963م، ص:21.

[6]- حسن إبراهيم حسن: المرجع نفسه، ص: 21.

[7]- الفيتوري عطية مخزوم: المرجع السابق، ص: 118.

[8]- حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص:118.

[9]- إسماعيل العربي:"مسالك الإسلام و العروبة إلى الصحراء الكبرى" مجلة الثقافة ع26الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م ص44.

توغلت في الصحراء الوسطى و في الصحراء الغربية حيث بسطت نفوذها في المنطقة واستولت على مدينة أودغشت في القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي (5هـ-11م) [1]، كما نجد القبائل العربية قد وصلت الى بحيرة التشاد، والتي لعبت دورا هاما في نشر الإسلام و الحضارة العربية بالمنطقة[2]و كانت الهجرات العربية الى هذه المناطق في شكل هجرات مسالمة، تبحث عن مضارب جديدة للاستقرار بها كما عملت على الإحتكاك بالسكان والإختلاط بهم[3] ، ومن القبائل العربية التي إستقرت حول حوض بحيرة التشاد قبائل "الكانوري" و قبيلة جهينة[4]، بالإضافة إلى قبائل عربية أخرى وفدت إلى المنطقة حيث وصلت حتى مملكة زغاوة و إمتدت لغاية بورنو [5]، وهناك من ملوك مملكة كانم الذي إدعى النسب العلوي في بني الحسين وهو السلطان عثمان بن زينب الكانمي الذي ادعى أنه من ولد عفان (رضي الله عنه).[6]

وكان للهجرات العربية فضل في إنتشار اللغة العربية و تعريب المنطقة و التي ساهمتا في كل من الهجرة الهلالية [7]، و بني سليم[8]، في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي (5هـ-11م) حيث إستقروا قرب وادي درعه ثم تنقلوا في الصحراء كما اشتغلوا في التجارة مع مدينة تنبكتو[9]، ونجد أن تأثيرهم ساهم في تعريب الكثير من سكان الصحراء و القبائل البربرية المهاجرة أيضا، واللغة العربية كانت دائما أهم دعائم إنتشار الإسلام في السودان الغربي[10].

---

[1] --عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص:17-20.

[2] - عبد القادرزبادية:"السودان الغربي و ممالكة الإسلامية "، المرجع السابق، ص: 57.

[3] - عبد الرحمن عمر الماحي:المرجع السابق، ص ص: 68-71.

[4] - **جهينة:** و هي خليط القبائل العدنانية و القحطانية و بطونها المختلفة قد انتشرت هذه القبائل في المنطقة المحيطة ببحيرة التشاد و إفريقيا الوسطى.ينظر: عبد الرحمن عمر الماحي: المرجع نفسه، ص: 69.

[5] - حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص: 51.

[6] - القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص: 27.

[7] - **بنو هلال:** هو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن علان بن مضر من عدنانية من بطونهم ذياب و عوف و زغب و اثبج و بنوقرة و بنو حرب و بنو رياح مواطنهم كانت بجبل غزوات عند الطائف بعدها إنتقلوا مع القرامطة بالبحرين و عمان ثم نقلهم العزيز الفاطمي و هم بنو سليم إلى صعيد بالعدوة الشرقية للنيل و بعدها أجازوهم بأمر من المستنصر الفاطمي إلى إفريقية فنزلوا برقة سنة 443هـ/1051م و بعدها تقدموا لسائر بلاد المغرب.ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، ج5، المصدر السابق، ص ص: 27-31.

[8] - **بنو سليم:** قبيلة عربية بطن متسع من أوسع بطون مضروهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن صفا بن قيس من بطونها، عصية و ذكوان كانت منازلهم قبل الهجرة الهلالية بنجد ثم ساروا إلى إفريقية و من بطونها التي بإفريقية قبائل زغب و ذياب وهيب و عوف ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون:لمصدر نفسه، ص ص: 141-142.

[9] - الحسن الوزان:المصدر السابق، ج1، ص: 53.

[10] - إسماعيل العربي :"الإسلام والعروبة الى الصحراء الكبرى "، المرجع السابق، ص ص: 44، 45.

د-أهم مماليك السودان الغربي:

1-مملكة غانة: تعد مملكة غانة أول مملكة إفريقية إمتد عمرها من القرن الرابع حتى القرن الحادي عشر الهجري (4هـ-11هـ) [1]، إذ كانت في المرحلة الأولى مملكة وثنية وفي مرحلة ثانية مملكة إسلامية إذ شكلت أول تنظيم سياسي متطور عرفته بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط[2].

التسمية و الموقع الجغرافي:

لقد إختلف الجغرافيون و المؤرخون حول تسمية مملكة غانة، ذكر لنا الدمشقي أن :"غانة سمة لملوكهم وألم بلد أوكار و لقب غانة يطلق على كل الأراضي هده المملكة "[3]، ونجد آن البكري يتفق معه و يضيف أن غانة هو اسم ملوك الذين حكموا المملكة[4].

وكلمة "غانة " في لغة السونينك "كانة" لدى الماندنك تعني السيد المحارب وكان الملك يطلق عليه أيضا إلى جانب غانة اسم قيمع [5]، أوماجا أوماجان وتعني الكلمة "السيد"وأشار عبد الرحمن السعدي بان كايا ماغان هو اسم أول ملك حكم غانة [6] أما المؤرخة جوان جوزيف ذكرت بان غانا كلمة باللغة الماندية معناها "أمير الجيوش "أو" قائد الجيوش"[7].

الحدود الجغرافية لمملكة غانة:

ليس من السهل تحديد الحدود الجغرافية [8] لمملكة غانة بشكل دقيق، لذا نستنتج أقوال الرحالة و المؤرخين، فالإدريسي يذكر لنا بأنها تتصل مع غيرها ببلاد مفرازة ومن شرقها ببلاد ونقارة وشمالها متصل بالصحراء المتصلة بأرض السودان و أرض البربر وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللمم[9].

---

[1]- كمال محمد الصاوي:تاريخ المسلمين في إفريقيا و مشكلاتهم، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د، ط)، 2008م، ص: 127.

[2]- أحمد شكري: مملكة غانة، المرجع السابق ص: 109.

[3]- الدمشقي شمس الدين:نخبة الدهر و عجائب البر و البحر، بيزبورغ، المطبعة الأكاديمية للإمبراطورية المقدسة، ط2، 1926م، ص:240.

[4]- البكري: المصدر السابق، ص: 178.

[5]- **قيمع**: هو الذي بدأ السلطة الإمارة غانة و تعني الكلمة ملك الذهب ينظر: ابن حوقل:المصدر السابق، ص: 98.

[6]- نبيلة حسن أحمد: المرجع السابق، ص: 180.

[7]--عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص: 07.

[8]- جوان جوزيف: الإسلام في مماليك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني، (القاهرة، بيروت)، (د-ط)، (د-ت)، ص: 48.

[9]- **أرض اللمم**: تتاخم شاطئ المحيط الأطلسي بخليج غينيا، و أهلها كفار، ذكرها الإدريسي و ابن سعيد المغربي بأرض اللمم أما البكري والدمشقي يسميانها بأرض الدمم. ينظر: الإدريسي:وصف إفريقيا الشمالية و الصحراوية، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية، الجزائر، (د-ط)1967، ص: 08، ينظر: ابن سعيد المغربي (ت: 673ه/1274م): كتاب الجرافيا، تخ: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1982، ص: 92، البكري: المصدر السابق، ص: 158، الدمشقي: المصدر السابق، ص:11.

أما في أوج قوتها وصلت حدودها إلى غاية شمالي نهر النيجر الأعلى و منابع نهر السنغال[1]، ووصلت حتى الشواطئ الغربية لبحيرة التشاد، كما إمتد نفوذها من حدود الصحراء الكبرى شمالا حتى منطقة خليج غينيا من ناحية الجنوب[2]، وهو ما قصده صاحب الإستبصار بقوله "لملك غانة مملكة واسعة نحو شهرين في مثلها"[3].

أما عاصمة غانة فذكرها ابن سعيد المغربي في قوله:"مدينة غانة هي وسط طرق تقع حيث طول تسعة وعشرون والعرض عشر درجات...وبها يحل سلطان غانة"[4].

ويعرفها البكري في قوله:"مدينة غانة مدينة سهلية أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون...و مدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى الغابة و المساكن بينهما متصلة[5]، ومن هنا نستشف أن لمملكة غانة عاصمتان خلال القرن الخامس الهجري و الحادي عشر الميلادي (5هـ-11م) فالعاصمة الأولى تسمى الغابة[6] ، أما العاصمة الثانية فهي غانة أو "كومبي" تعني في لغة السودان المدينة أما "صالح" فهو اسم عربي و المعنى العام "مدينة صالح".[7]

3- الحياة السياسية لمملكة غانة:

حكمت أسرة سودانية المملكة منذ أواخر القرن الأول الهجري، الثامن الميلادي (01 هـ-08 م)، وبلغ عدد ملوكها أربعة وأربعين ملكا ، إثنين وعشرين منهم قبل البعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وإثنين وعشرين بعد البعثة[8]، وبلغت المملكة في العهد هم ذروة مجدها، فقد أصبحت تسيطر علي مساحات واسعة من أراضي غرب أفريقيا[9].

ونظام الحكم المتبع في وراثة العرش هو توريث ابن الأخت، ويذكر البكرى في كتابه أن الملك لا يكون إلا في ابن الأخت لأنه لا يشك فيه أنه ابن أخته[10] ، ومثال ذلك الملك تنكامين

---

[1]- عبد القادر زبادية: "السودان الغربي و ممالكه الإسلامية "، المرجع السابق، ص: 58.

[2]- جوان جوزيف: المرجع السابق، ص: 49.

[3]- مجهول: الإستبصار، المصدرالسابق، ص: 21.

[4]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص: 92.

[5]- البكري: المصدر السابق، ص: 175.

[6]- الإدريسي: المصدر السابق، ص: 34.

[7]-**كومبي صالح**: هو موقع غانة العاصمة التي ورد ذكرها عند الجغرافيين باسم غانة وكومبي صالح ماهو إلإسم القرية التي تتطابق مع موقع غانة العاصمة وتقع حاليا على بعد ثلاثمائة وخمسون كيلومتر شمال بماكو الحالية.ينظر:حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ط1، 1407هـ، 1987م، ص:371.

[8]- السعدي:المصدر السابق، ص: 95.

[9]- جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، تع:محمد غزالي وبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، ط2، 1983م، 53.

[10]- البكري: المصدر السابق، 158.

الذي تقلد أمر البلاد سنة 455 هـ / 1063 م ورث الملك عن خاله بيسي، وهذه الظاهرة من التقاليد الوثنية القديمة التي رفعت من شأن المرأة[1] ، و عندما وصل الإسلام إلي غانة أضعف من هذه الظاهرة، وشهد ابن بطوطة ذلك في القرن (8 هـ -14م) بمدينة تكدة [2]، ومع تغلغل الاسلا م في نفوس السواد نيين بدأت هذه الظاهرة في الإختفاء، لكن مكانة المرأة بقيت و لم تتأثر في المجتمع السوداني[3].

يقوم نظام الحكم على أساس المركزية إلا في بعض المقاطعات، حيث ظل الحكم فيها وراثيا أمور معنية، حتى إذا أحست هذه المقاطعات الوراثية الخاضعة للحكم المركزي في كومبي صالح بضعف الحكومة المركزية، قامت بمحاولة الإنفصال عنها رغبة في الإستقلال، و هذا ما حدث فعلا عند دخول المرابطين لما وصل كانجايا من ديارا وكانياجا وضلام الفرصة السامحة للانفصال و لم يعد نفوذ ملوك غانة السوننك إلاّ في بعض المقاطعات مثل أوكار و "بتسيكورو"[4].

وعلى أساس الشهادات التي اعتمدها المؤرخ موني وصل إلى أن مملكة غانة لم تبسط نفوذها على جميع المناطق التي قطنتها شعوب السيراكول، كالتكرورو سيلا التي كانت مناطق مستقلة عن غانة [5] .

ونجد أن غانة قد أخضعت العديد من المناطق التي قامت بتقسيمها إلى ولايات وأقاليم ولكل ولاية حاكم يسير شؤونها من أشهرها ولاية "أودغشت"فهي مركز المملكة و نواتها، إضافة إلى ولاية" هود" في الوسط، وممالك المغاربة في الشمال وديارا و تاقنت وباسيكور في الشرق وولاية واجادور و كانياجا و بغن في الجنوب و الجنوب الشرقي[6].

وكانت إدارة هذه الولايات الواسعة تتوقف على مدى القوة العسكرية للمملكة، إذ يستطيع القائد أن يتغلب على صعوبة المواصلات و أن يكسب دولته لونا من ألوان الوحدة السياسية

[1] - الدالي المعادي مبروك:المرجع السابق، ص:31 ، 32.

[2] -ابن بطوطة أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم (ت: 889هـ-1493م): تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. تح: وتع: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط04، 1985م، ص698.

[3] - الدالي الهادي مبروك: المرجع السابق، ص:32.

[4] -الهادي الدالي مبرك: المرجع السابق، ص :33.

[5] - MAUNY Raymonde ،Tableau géographique d'Afrique noir ، M.ifan ،Dakar:1961،p:511

[6] - CANALE Jean Suret ، Afrique noire (géographique، civilisation، histoire)، p:173

والإجتماعية، ولكن إذا خلفه زعيم آخر أقل قوة منه فلن يستطيع الحفاظ على هذه الوحدة، وكان أمر الولايات البعيدة يوكل إلى طائفة من العمال يتصرفون بها كما يشاءون[1].

والنشاط الإداري لمثل هذه الدول لم يتجاوز مجرد تحصيل الضرائب، وهذا الأمر يتعلق بقوة كلّ دولة فان ضعفت خفت مداخليها و تحصيلا تها[2].

2-مملكة مالي:

وتسمى بالمملكة المالينيكية أو الماندنجية، ظهرت في قائمة الوجود كوحدة سياسية إلا في اوائل القرن الثالث عشر الميلادي في أيام (سونداياتا)، وفي عام 1240م استطاع ملك الصوسو أن يدمر "غانة" ويثبت حكمه عليها [3]، وفي هذا يقول ابن خلدون:"ثم إضمحل أصحاب غانية، وتغلب عليهم أهل صوسو المجاورون لهم من أمم السودان، وإستعبدوهم و أسروهم في جملتهم ثم أن أهل مالي كثروا أمم السودان في نواحيهم تلك و إستطاعوا على الأمم المجاورين لهم فغلبوا على صوسو و ملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم و ملك أهل غانية الى البحر المحيط من ناحية الغرب"[4] وخلال تلك الفترة عرفت مالي نشأ تها الحقيقة و إتساع حدودها.[5]

*** التسمية و الموقع الجغرافي:**

1 -التسمية:

تعرف مالي في المصادر العربية القديمة باسم " ملا " أو "ملى "[6] ، وذكرها البكرى لأول مرة في الفترة 5هـ / 11م وسماها بلاد "ملل"[7] ، وذكرها ابن بطوطة ب"مالي" حين زارها سنة 1944م حيث قال:"...ثم سرنا في كارسخو فوصلنا إلى منتصرة وهو على عشر أميال من مالي[8] " أمّا السعدي فيذكرها ب "ملي"[9]، و يسميها الحسن الوزان ب "مالي"[10].

---

[1]- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص:185.

[2]- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص:185.

[3]-خير الدين شيترة: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي)، ج 01، منشورة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص250.

[4]- عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص:314.

[5]- أحمد شكري: الإسلام و المجتمع السوداني (إمبراطورية مالي (1230-1430م)، مجتمع الثقافي للنشر و التوزيع، أبو ظبي، ط1، 1999م، ص:165

[6]- التونسي محمد بن غمرات:274ه-1957م: تشحيذ الأذهان بسرة بلاد المغرب و السودان، تح:خليل محمود عساكر و مصطفى مسعد الدار القومية، القاهرة، ط1، 1965، ص:134.

[7]- البكري: المصدر السابق، ص:134.

[8]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص:771.

[9]- عبد الرحمن السعدي:المصدر السابق، ص:09.

[10]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1 ، ص:64، .

وكلمة "مالي" اسم حديث بعض الشيء لدولة قديمة تعاقبت عليها الأسر المالكة قبل الإسلام[1]. كما عرفت مملكة مالي أيضا ببلاد التكرور، و إشتهر ملكها باسم ملك التكرور والصحيح أن التكرور هو أحد الأقاليم التي خضعت لسيادة مالي[2] ، و في ذلك يذكر لنا القلقشندي بقوله:"مالي معروفة عند العامة ببلاد التكرور"[3] .

ويقسم لنا محمد بن عمر التونسي الممالك السودانية في قوله:"ذلك أنا القادم من المشرق الى بلاد السودان أول مملكة أو إقليم يعرض له مملكة نسار...و البورنو السادس وأقدز السابع.
ونفه الثامن و دار تنبكتو التاسع و دار ملا أو ملي العاشر و هي قاعدة ملك "[4] .

2-الحدود الجغرافية لمملكة مالي:

تغطي مملكة مالي [5]، مساحة شاسعة فهي تمتد شمالا إلى جنوب المغرب الأقصى، غربا إلى المحيط الاطلسي و شرقا إلى الحدود البورنو[6]، إذن مملكة مالي إمتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد كانم البورنو و الهوسا و من غابات الاستوائية في الجنوب إلى الصحراء الكبرى هذا فضلا عن الأقاليم الجديدة التي ضمتها[7]، بعد إتساع حدودها لتشمل جبل الإمارات و المماليك السودانية مثل إمارة كوكو[8]، و سلطنة تكرور و مملكة غانة و أصبح نفوذ إمبراطورية مالي يغطي جل مناطق بلاد السودان[9].

كل هذه الرقعة الجغرافية التي عبر عنها عبد القادر زبادية أنها تشمل حاليا المالي بالسنغال الشرقي و شمال، كل من فولتا العليا، البنين و الجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا[10] ، و حددها لنا جلال يحي في كتابه أن حدودها تمتد من بلاد التكرور غربا قرب سواحل المحيط الأطلسي الى مناجم النحاس في تكدة عند شرق النيجر، و إمتدت من مناجم الملح في تغازا في الصحراء شمالا إلى مناجم الذهب في ونقارة في الجنوب الغربي، و سارت حدودها الجنوبية مع

[1] - حسين المؤنس:أطلس تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص:373.
[2] -الهادي الدالي ميروك: المرجع السابق، ص:50.
[3] - القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص:.272
[4] - التونسي محمد بن عمر:المصدر السابق، ص ص: 134، 132.
[5] - للإطلاع على خريطة الموقع الجغرافي لمملكة مالي: ينظر الملحق رقم: 03.
[6] - أحمد شكري:الإسلام و المجتمع السوداني إمبراطورية مالي (1230، 1430م)، المرجع السابق، ص: 165.
[7] - عطية الفيتوري مخزوم: المرجع السابق، ص: 261.
[8] - **إمارة كوكو:** مدينة مشهورة من بلاد السودان، كبيرة تقع على ضفة نهر مخرج من ناحية الشمال و غرب. الإدريسي: المصدر السابق، ص44.
[9] - أحمد شكري: الإسلام و المجتمع السوداني، إمبراطورية مالي (1230، 1430م)، المرجع السابق، ص: 165.
[10] - عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، المرجع السابق، ص: 164.

منطقة الغابات الإستوائية، و يذكرأيضا بعض المؤرخين أن مملكة مالي تضم أربعة عشر إقليما، أو مملكة في السودان الغربي خلال القرن الثامن الهجري و الرابع عشر الميلادي (8هـ/14م)[1].

التنظيم السياسي لمملكة مالي:

عرف نظام الحكم في مملكة مالي، نظام ملكي وراثي في أغلب الأحيان، إلى أبناء الملك بل حتى إخوة الملك و نجد هناك أمثلة عديدة على ذلك ولى الملك أبناء أخته و أبناء البنت[2]، وهذا ما أكده القلقشندي بقوله: "على قاعدة العجم في تمليك البنت و ابن البنت "[3].

وفي بعض الأحيان الحكم يخرج عن الأسر الحاكمة إلى رجل خارج عنهم، و هذا ما نجده متمثلا في " ساكورة " الذي لم يكن من الاسرة الحاكمة[4] .

لقد إنتهجت مملكة مالي الإسلامية في نظام حكمها نهج بعض الممالك الإسلامية المعاصرة لها يستند نظام الحكم بالدرجة الأولى إلى الملك[5] ، وللملك نائبه يسمى قنجا [6]، و الموظفون يسيرون دواوين و تتم كتاباتها باللغة العربية أو بالخط المغربي[7].

وكانت مهام الوزارات تسند إلى عرب شمال إفريقيا المقيمين هناك مثل: مهام الخزانة والقضاء و الترجمة، و كتاب الملك، و الاستشارة، و قد أسند الملك منسى موسى منصب الاستشارة إلى المهندس الليبي عبد الله الكومي الموحدي الغدامسي، و من الوزارات الرئيسية لدي المملكة: وزارة الثقافة، والأملاك، وشؤون مياه النيجر، وملاحة النيجر، الملاحة النهرية، والصيد و الغابات، والجزية[8].

ولمملكة مالي عدة أقاليم هي: غانا، زافون، ترنكا، التكرور، سنغانة بانبغو، وزارفيرطا، وتنبرا، ورام ودا، وزاغا، وكار، وبلاد غوري وكوكو إقليم مالي[9].

أطلقت مجموعة من المصطلحات على التنظيمات الإدارية لمملكتهم و أقاليمها، فالقرية يطلقون عليها اسم "دوجو " (DUJU)، ثم تأتي في المرتبة الثانية المدينة و تتألف من مجموعة

---

[1]- جلال يحي: المرجع السابق، ص: 35.

[2]- الدالي الهادي مبروك:المرجع السابق، ص: 64.

[3]- القلقشندي: المصدر السابق، ج 5، ص: 184.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن: العبر، المصدر السابق، ج5، ص: 415.

[5]- الدالي الهادي المبروك:المرجع السابق، ص: 66.

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص: 698.

[7]- نعيم قداح: حضارة الإسلام و حضارة أوربا في إفريقيا الغربية،المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، (د-ط)، (د-ت)، ص 184.

[8]- الدالي الهادي مبروك: المرجع السابق، ص: 67،

[9]- ابن خلدون عبد الرحمن: العبر، المصدر السابق، ج5، ص: .413 .ينظر: القلقشندى: المصدر السابق، ج5 ، ص: 276.

قري، ويطلق عليها "كافو " (Kafo) و يطلق على مجموعة من المدن الكافوات اسم "ديامانا " بمعنى الولاية أو المملكة و على ما يبدو أنّ هذا التنظيم مازال محافظا على التنظيم القبلي الذي كانت عليه شعوب الماندنجو[1].

كان يطلق على حكام الولايات و رؤساء القرى لقب منسة أو ماسة و يدعى حاكم الولاية كي (koi) بمعني الملك تابع لسلطان[2].

أما الذي يتحكم في الولاية فيأتي القرية بعد الكي مباشرة و أحيانا يحكم نيابة عنه[3]، و هذا ما أكده أبن بطوطة الذي ذكر لنا بأن الوزير كان يسير في أحدى القرى الواقعة على نهر النيجر في فترة حكم السلطان منسى موسى[4]، و أورد لنا السعدي أن ستة و ثلاثين ملك حملوا لقب كي[5].

كان لمملكة مالي عدة مؤسسات تعمل على تسيير شؤون المملكة يأتي في مقدمتها نظام القضاء، و القضاة نوعان: قاضي العاصمة و قاضي الأعلى و قضاة آخرون وهم يمارسون مهمة القضاء خارج العاصمة و قاضي العاصمة بدوره أرفع من قرنيه[6]، و في هذا نجد أن ابن بطوطة قد ذكر لنا هذا خلال زيارته لمدينة تكدة:"...و في أيام إقامتي بهاو توجه القاضي أبو إبراهيم والخطيب محمد و المدرس أبو حفص و الشيخ سعيد بن على إلى سلطان تكدة و هو يسمى أزار وكان على مسيرة يوم منها وقعت بينه و بين التكريري وهو من السلاطين العرب المغاربة أيضا منازعة فذهبوا للأصلاح بينهما "[7].

3- مملكة صنغاي:

بدأ ظهور هذه المملكة في القرون الميلادية الأولى و عاصرت مملكة غانة و مالي و بقيت صنغاي إلى غاية عام 1594م ، و مرت هذه الأخيرة بالفترة الوثنية و الفترة الإسلامية[8].

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص: 09.

[2]- السعدي :المصدر نفسه، ص: 08.

[3]- الدالي الهادي مبروك: المرجع السابق، ص: 69.

[4]- ابن بطوطة:الصدر السابق، ص: 792.

[5]- السعدي :المصدر السابق، ص:10.

[6]- الدالي الهادي مبروك: المرجع السابق، ص: 71.

[7]--ابن بطوطة: المصدر السابق، ص: 786.

[8]- محمد فاضل على باري و سعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص: 110.

التسمية و الموقع الجغرافي:

هناك تضارب كبير بين المصادر و المراجع حول تسمية مملكة صنغاي، عاصمة إمبراطورية غاو، وفي بعض الأحيان ذكرت هذه المملكة بعدة مصطلحات منها: بلاد كوكو و البعض الآخر ببلاد غاو فهناك من ذكر أن بلاد كوكو هي غاو في حد ذاتها، و لتصحيح هذا الخلط اعتمدنا على الخرائط الجغرافية في العصور الوسطي ، فوجدنا أنّ كلّ من كوكو و غاو رقعتان جغرافيتان مختلفتان تتقربان مع بعضهما البعض، فالوصف الجغرافي لكوكو، الذي ذكره الجغرافيون لا يتطابق مع الموقع الجغرافي [1]، لغاو و هذه التسمية لم يتم ذكرها عند الجغرافيين إلاّ الحسن الوزان باسم كاغو الذي يصفها بقوله: "...مدينة عظيمة...بعيدة بنحو أربعة مائة ميل إلى الغرب تمبكتو..."[2].

أمّا البكري يصف كوكو بقوله: " المدينة عبارة عن مدينتين، مدينة الملك و مدينة المسلمين..."[3]، كما يصفها الإدريسي بقوله: "كوكو مشهورة الذكر في بلاد السودان كبير و هي ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها، و منه شرب أهلها و يذكر كثير من السودان أن مملكة كوكو هذه على ضفة خليج، و ذكر آخرون أنها على نهر يمر بالنيل (نهر النيجر)....." [4]، كما نجد أن ابن سعيد المغربي قد فصل لنا بلاد كوكو في قوله: "أنها بلاد منسوبة إلى بلاد صاحب البلاد...و جبل كوكو يضرب به المثل و هو يقابل من غربيه مسلمين غانة و من شرقيه كان ومدينة كوكو شرقي النهر المنسوب إليها..."[5].

الحدود الجغرافية لمملكة صنغاي:

إذا قارنا بين ما ذكره الحسن الوزان و ابن سعيد المغربي في التسمية فنجد أنهما يتحدثان عن رقعتان جغرافيتان مختلفتان تماما، لذا سنعرض الموقع الجغرافي لمملكة صنغاي أو مملكة غاو إعتمادا على بعض المراجع الحديثة، وتمتد مملكة صنغاي على ضفتي نهر النيجر من الشمال من بنين عند مدينة دندي إلى جنوب فولتا العليا[6]، قامت في منطقة غانة الواقعة بين خطي عرض ثمانية درجات جنوبا و سبع درجات شمالا[7].

[1]- للإطلاع على خريطة الموقع الجغرافي لمملكة صنغاي ينظر ملحق رقم:03.

[2]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص: 169.

[3]- البكري:المصدر السابق، ص: 183

[4]- الادريسي:المصدر السابق، ص ص:40، 41.

[5]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص: 93 ،

[6]- عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص: 301.

[7]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق، ص: 106.

المظاهر السياسية لمملكة صنغاي:

نرى المظاهر السياسية للحضارة الإسلامية لمملكة صنغاي منذ عهد الأسقيا محمد الأول (الحاج الكبير)[1]، منذ اتخاذه لقب أمير المؤمنين من شريف مكة و تزكيتها من الخليفة العباسي بالقاهرة حتى يضفي على نفسه الشرعية الروحية و يكون أمره مطاعا، هذا تقليدا للأنظمة في العالم الإسلامي، كما قلد الخليفة العباسي في مقعده و ملابسه و قد سن الأسقيا محمد أن أعطى للحجاج السودانيين أهل صنغاي مكانة خاصة في مراسيم البلاط الملكي، فكان يستقبل بنفسه الحجاج العائدين خارج العاصمة (غاو) و يدخلون إليها إلاّ بعد مشاورة الأسقية و بعدما قدم له الهدايا و يتلقي منهم الدعاء[2].

وكان النظام الإداري في مملكة صنغاي، تنظيما قبليا، و إستمر على حاله على عهد الأسقين الأوائل لكن بتولي محمد الأول الحكم و اعتناق مملكته الإسلام، بذل هذا الأخير كل ما في وسعه لإصلاح إرادته[3].

ومن هنا ذهب بعض المؤرخين إلى وصفه بالأمير الشرقي في السودان لجمعه بين الأساليب القبلية السودانية و بعض الأساليب التي وصلت مع الإسلام مما أظهر الطابع الشرقي الإسلامي على الحضارة الصنغانية الإسلامية[4].

تميزت مملكة صنغاي عن غيرها من الممالك السودان الغربي بجيش قوي حيث سمته جوان جوزيف "صنغاي و الجيش الأرستقراطية "لما بلغته صنغاي من قوة جيشها[5]، حيث كان جيشا نظاميا ممتازا في التدريب و التصنيف و ينقسم إلى فرقة الخيالة ، فرقة الفرسان ، و فرقة المشاة[6]، وهذه الفئات اعتمد على تدريسها على مقاييس عالية لذلك العصر و تفوق على باقي الجيوش المجاورة[7].

---

[1]- **الأسقيا الحاج محمد الكبير**:محمد الأول هو محمد توري أخذ لنفسه لقب أسقيا أعطى كثيرا من الاحترام للدين و العلماء، وحقق انتعاشا كبيرا في عهده.، ينظر: روسيل وورين: المرجع السابق، ص: 74 .

[2]- الدالي الهادي مبروك:المرجع السابق، ص:133.

[3]- زبادية عبد القادر:مملكة سنغاي على عهد الأسقيين، المرجع السابق، ص: 64.

[4]- زبادية عبد القادر:مملكة صنغاي، المرجع السابق، ص: 54.

[5]- جوان جوزيف:المرجع السابق، ص: 78.

[6] CANALE JEAN SURET ;OP.CIT ;P: 45-

[7]- عبد القادر زباديه: مملكة صنغاي، المرجع السابق ص: 82.

الفصل الثاني:

العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية وبلاد السودان الغربي

المبحث الأول: القوافل التجارية مسالكها ومحطاتها بين الإقليمين.

المبحث الثاني: حركة التبادل التجاري ونظم التعامل بين الإقليمين.

المبحث الأول:القوافل التجارية ومسالكها والمحطات التجارية بين الإقليمين

لعبت التجارة دورا بارزا في ربط العلاقات بين الدولة الزيانية والسودان الغربي[1]،التي عرفت إزدهارا كبيرا فمنذ عدة قرون ظلت تلمسان محطة ذات شأن كبير في الطريق التجاري الواصل بينهما[2]، من خلال القوافل التجارية التي كانت تجوب الإقليمين، فقد ربطت شبكة من الطرق التي سهلت على القوافل التجارية عملية الإتصال والتبادل التجاري بينهما[3]، فكانت تقطع تلك الصحراء متجهة إلى مدن السودان الغربي ومراكزه التجارية[4].

أ-الطرق والمسالك البرية:

إنطلقت من المغرب الأوسط مجموعة من الطرق التجارية التي كانت تربطها بالسودان الغربي وهي عديدة أهمها:

طريق ينطلق من سجلماسة إلى إيولاتن ومنها إلى تنبكتو وجنى وغاو[5].

وطريق ينطلق من تلمسان ويمر بغرداية وتوات وصولا إلى تنبكتو[6]، و أحيانا يصل هذا الطريق إلى نهر النيجر حيث توجد مدينة غاو[7].

طريق ينطلق من تقرت وورجلان إلى غاو: ينطلق من موانئ الموجودة بالمدن الساحلية من المغرب الأوسط، كموانئ جزائر بني مزغنة وبجاية وسكيكدة وغيرها، ليصل إلى تقرت وورجلان ومنها إلى غاو[8]، و هناك طريق آخر وهو طريق ورجلان أكدز[9] .

1-بلعربي خالد: " تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط "، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ع: 15، 2011 م، ص: 38.

2- محمود بوعياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15هـ)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر(د، ط)، 1982 م، ص: 34.

3- بلعربي خالد: "تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى....."، المرجع السابق، ص: 38.

4- حسين سيد عبد الله مراد:"الصلات بين المغرب والسودان الغربي خلال القرن (2و 6 ه) (8-12م)"، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة (د، ط، ت)، ص: 02.

5- ميخوت بودواية:العلاقات القافية والتجاريةبين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد الدولة الزيانية، رسالة دكتوراه دولة التاريخ، إش: عبد الحميد جاحيات، جامعة تلمسان، 2005، 2006 م، ص: 311.

6 - عبد القادر زبادية : الحضارة العربية و التأثير الاوروبي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتلب ، ط1، 1989م، ص:29

7- الماحي عمر عبد الرحمن: المرجع السابق، 86.

8- عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتاثير الأوربي، المرجع السابق، ص: 23.

9- الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص:136.

طريق ينطلق من واحة الجريد – جنوب تونس– يمر بورجلان وسوف وغدامس[1] ، وهناك طريق آخر يصل إلى الإقليم الواقع بين بحيرة الشتاء ونهر النيجر[2] ، ومن قابس[3] ، بواحة الجريد إلى بلاد السودان الغربي[4].

طريق ينطلق من طرابلس، فيتفرع عن هذا مسلك فرعين يصل إلى فزان، وآخر ينتهي عند البورنو وغاو[5]، وأما طريق طرابلس تنبكتو يمر على غدامس وتيما سنين والبيوض حيث يتصل بطريق قسنطينة إلى تنبكتو[6].

طريق ينطلق من مصر ويمر بواحة سيوة وبزويلة[7]، وتادمكة ويستمر إلى غاية تنبكتو[8].

هناك عدة طرق تربط بين توات والسودان الغربي، كما تعد محطة للقوافل التجارية الآتية من الشمال[9].

ومن هذه الطرق التجارية الطريق الذي سلكه ابن بطوطة خلال عودته من بلاد السودان الغربي ويبدأ من تكدة مرورا بالهقار ووصولا إلى توات[10]، وذكر ابن خلدون طرقا أخرى تنطلق إما من توات أو تمنطيط[11]، أو تاسابيت وتيقورارين[12] ، إلى بلاد السودان الغربي[13].

[1]– مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:311.

[2]– عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأروبي، ص:29..

[3]– **قابس**:مدينة بافريقيا محصنة، فهي محاطة بحصن وخندق ولها ثلاث أبواب وبها أرباض وأسواق وجامع وحمامات وفنادقوبهامرفأ للسفن، سكنها العرب والأفارقة وحولها القبائل من لواتة ولماية ونفوسة وغيرها.ينظر:البكري، المصدر السابق، ص ص:16، 17

[4]– لومبار موريس : الإسلام في مجده الأول–08م، ترالعربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1984م، ص:102.

[5]– عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأروبي، المرجع السابق، ص:30.

[6]– يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الإسلامية، المرجع السابق، ص:45.

[7]– **زويلة**:بفتح أوله، وكسر ثانيه، وبعد الياء المثناة من تحت الساكنة لام بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل أجدابية في بلاد السودان وأخرى زويلة المهدية التي بناها المهدي عبد الله ،ينظر:ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص ص:459، 160.

[8]– عطية عبد الكامل: "الروابط التجارية بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى من خلال المصادر العربية والرحالة الأربيين القرنين (15م، 19م)"، مجلة كان التاريخية، ع:23، 2014م، ص:55.

[9]– الهادي الدالي مبروك: المرجع السابق، ص:300

[10]– إبن بطوطة: المرجع السابق، ص:800، 801.

[11]– **تمنطيط**:تقع ثلاثون كيلو متر جنوب بودة بإقليم توات.ينظر:MAUNY raymounf.op.at.p.433

[12]– **تيقورارين**: تعني بالأمازيغية المعسكرات، منطقة مأهولة تبعد بنحو 120ميل عن شرق تاسابيت، وهي عبارة عن مجموعة من القصور، ينظر:الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص:134.، وينظرأيضا:إبن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7 ص ص:118، 119،

[13]– عبد الرحمان إبن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص123

وطريق ينطلق من واحات توات وتيدلكت يلتقي مع طرق ورجلان وغدامس[1]، إلى مختلف الواحات الموجودة بإقليم فزان وتصل إلى غاو، وكوكيا وتكدة ومدن بلاد الهوسا وأيضا تنبكتو[2].

أما الطرق التجارية التي تربط تلمسان الزيانية وبلاد السودان الغربي، فكانت القوافل التجارية تخرج من تلمسان فتتجه غربا نحو فاس[3]، ومن هناك تأخذ طريقها إلى سجلماسة في اتجاه بلاد السودان فتقطع رحلاتها على ثلاث مراحل كبرى هي[4]:

-المرحلة الأولى:

وتنتهي عند حد سجلماسة أو توات أو عين صالح، ويربط بين كل محطة من هذه المحطات وبين تلمسان طريق وأهم هذه الطرق طريق تلمسان – سجلماسة الذي ينقسم بدوره إلى فرعين: فرع يصل بين تلمسان ووجدة يقطع منطقة أنجاد ليصل إلى تازة عبر تاوريرت وجرسيف إلى فاس[5] التي تفصلها عن تلمسان مسافة عشرة أيام[6] ، ثم يقطع بعض المدن في الجنوب ومنها تادلا، وأغمات وريكة ودرعة ثم سجلماسة[7].

أما الفرع الثاني فكان يربط تلمسان بوجدة ثم بجبل تامريت [8]، ثم يقطع وادي غير (الساورة) إلى سجلماسة، ويلتقي الفرعان في سجلماسة وتبلغ المسافة بينها وبين عاصمة الدولة الزيانية حوالي عشرة مراحل[9].

-طريق تلمسان توات ينقسم هذا الطريق إلى ثلاث فروع:

1-فرع يشق نعامة ويتوت ومغرار المزدوجة وغوبرات وأولاد سيدي عيسى، ثم توات[10].

---

[1]- **غدامس**:تقع، في الصحراء جنوب بلاد الجريد على طريق كانم، ينظر:القلقشندي، المصدرالسابق، ج5، ص:103.

[2]- يحي بوعزيز: "طرق القوافل والأسواق التجارية"، المرجع السابق، ص:25.

[3]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص:313.

[4]- لطيفة بشاري:العلاقات التجارية المغرب الاوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع الى القرن العاشرالهجريين (13-16هـ)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د، ط)، 2012، ص:73.

[5]-لطيفة بشري بن عميرة: العلاقات التجارية المغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد، المرجع نفسه، ص:72.

[6]- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص:156.

[7]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص:313.

[8]- مبخوت بودواية : المرجع نفسه ، ص :313 .

[9]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان في الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين(13، 16م)، رسالة الماجستير، جامعة الجزائر، (1406-1407/1986-1987م)، ص:82.

[10]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان في الإمارة الزيانية ، المرجع نفسه، ص:83.

2-وفرع ثان يتجه إلى سبدو (جنوب تلمسان) ويعبر عسلة وبوسمغون إلى تيميمون[1].

3-وفرع ثالث يمر عبر منطقة أولاد سيدي الشيخ، إلى تيميمون[2]، ويخرج من هذا الطريق عدة فروع من بينها[3]:

الطريق الرابط بين وجدة وفقيق (فجيج) وقورارة ثم ثيقورارين، هي نقطة تجمع القوافل إلى بلاد السودان[4]، وأحيانا تنعطف القوافل شرقا، فتتجه من تيميمون إلى عين صالح، عبر قصور وهناك طريق مباشر، بين تلمسان وعين صالح، طوله 1280كلم[5].

المرحلة الثانية:

كانت تتمثل في الطرق التي تربط سجلماسة وتوات وعين صالح نحو بلاد السودان الغربي[6]، فمن سجلماسة تقطع القوافل طريق يصل إلى تغازا، مدينة مناجم الملح، ثم يصل هذه المدينة بإيولاتن بداية بلاد السودان[7].

وهناك طريق يربط سجلماسة بتابلبالت[8]، ثم بتغازا، ومنها ينعطف شرقا إلى تاودين ثم ينحدر جنوبا، ليصل إلى تنبكتو[9].

وفي القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، عندما بدأ الأعراب يغيرون على الطريق الرابط بين سجلماسة وإيولاتن، انتهجوا طريق آخر إلى بلاد السودان من أعلى تمنطيط[10] لذلك صار الاتصال بين توات وبلاد السودان الغربي يتم عبر عدة طرق منها:

-طريق يربط توات بإولاتن، مرورا بتغازا، التي يتوجه فرع منها إلى إيولاتن.

-طريق آخر يمر بتاودين ثم بعروان فإيولاتن.

---

[1]- لطيفة بشاري: العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص:74.

[2]- مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:314

[3]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية، المرجع السابق، ص:83.

[4]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص ص:435، 436.

[5]- لطيفة شباري بن عميرة:العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المصدر السابق، ص:74.

[6]- مبخوت بودواية :المرجع السابق، ص:314.

[7]- لطيفة شباري بن عميرة: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد إمارة بني الزيانية، المصدر السابق، ص:84.

[8]- **تابلبالت**: هي مدينة تقع على بعد ثلاث مراحل جنوب سجلماسة. ينظر: عبدالرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص:441.

[9]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص:468.

[10]- ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص:119.

-وطريق ثالث يبدأ في توات ويتجه إلى تغازا، وينتهي في تمبكتو.

-وطريق رابط تقطع فيه القوافل المباشرة بين توات و تاد مكة، مرورا بصحراء أدارار إبفراس ، و طريق خامس يصل بين توات و بين مدينة تكدة عبر هضبة الهقار، ومن عين صالح تسير القوافل إلى صحراء أدرار و إيفوراس ثم إلى تاد مكة.

-وطريق آخر يربط بين عين صالح وتكدة عبر الهقار، حيث يلتقي بالطريق الرابط بينها وبين توات[1].

المرحلة الثالثة:

وتمتد الطرقات في داخل بلاد السودان الغربي من إيولاتن، إذ تسير القوافل إلى زاغري (ديورة)، حيث يقصد بلد كارسخو، من مملكة مالي[2]، ومنها إلى نهر منصرة، وأخيرا تصل إلى هذه المدينة الأخيرة التي تبعد عن إيولاتن بمسير أربعة وعشرين يوما[3].

كما كانت القوافل تسير، من إيولاتن إلى غانة، ثم تتوجه إلى مدينة مالي، ولهذا الطريق فرع يخرج من غانة، إلى أودغست في الشمال الغربي، ثم تتوجه إلى مالي جنوبا، وهناك طريق يربط مدينة تنبكتو بمدينة مالي[4].

وطريق آخر يربط مدينة تنبكتو مدينة غاو، ثم بكوكيا وبعدها تكدة، ومنها تتوجه القوافل نحو أغادس، في الجنوب الشرقي، وغات في الشمال الشرقي، وهي محطة القوافل المتوجهة إلى ليبيا ومصر[5].

ب-نظام القوافل ووسائل النقل:

قبل بداية الرحلة، كان لابد على التجار والمسافرين أن يستعدوا لها[6]، بتحديد الزمان والمكان فكان على كل من أراد أن يرافق القافلة أن يذهب إلى مكان معين خارج المدينة يجتمع فيه

[1]- لطيفة شباري: التجاريةالخارجية لتلمسان في عهدالإمارة الزيانية، المصدر السابق، ص ص:86، 87.

[2]- **كارسخو**: كانت كارسخو وزاغري تمتدان إلى مقر النيجر وكانت تابعتين لمملكة مالي.ينظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ص:442.

[3]- ابن بطوطة :المصدر نفسه، ص:443.

[4]- لطيفة شباري بن عميرة:التجارة الخارجية لتلمسان في عهد إمارة بني الزيانية، المرجع السابق، ص:87.

[5]- لطيفة شباري بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الاوسط، المرجع السابق، ص:76.

[6]- لطيفة شباري بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الاوسط، المرجع نفسه، ص:77.

التجار[1]، وإختيار وسيلة النقل، وتحديد الطريق، وتأجير الدليل، والتزود بالماء، والغذاء وكانت وسائل النقل تختار حسب نوعية الطريق[2]، فكان تجار يحددون طريق سفرهم لمدة شهرين فيختارون المسلك الذي تتخلله بعض المراعي وتنشر على طوله الأبار[3]، وكان التجار يعتمدون على الجمل لسد حاجياتهم يتغذون بلحمه، ويروون عطشهم من لبنه، ويصنع من وبره الخيام والألبسة[4].

ولابد للقافلة من دليل في الصحراء، فقد ذكر إبن بطوطة الدليل الذي كان يقود الرحلة إلى بلاد السودان بالتكشيف[5]، الذي له خبرة في ذلك الطريق[6]، وفي الغالب يختار الدليل من الملثمين، الذين يعرفون مسالك الصحراء الوعرة، وآبارها النادرة وأغلبهم من مسوفة [7]، وقد كان الدليل يكترى بأثمان مرتفعة، فإن بطوطة اكترى دليلا من تغازى إلى إيولاتن بمائة مثقال من الذهب، كما كان ملوك تنبكتو يدفعون 7300 مثقال من الذهب لحماية رسلهم إلى سجلماسة[8].

وكانت القافلة تضم مجموعة من التجار يخضعون لنظام خاص كان على رأسها[9]، مقدم يتحكم في انطلاقها ومسيرها في حلهاو ارتحالها[10].

لقد كان يستعمل الطبل لإعلان عن بدأ الرحيل[11]، ويبدو أن القوافل كانت تسير في الشمال في فصلي الربيع والصيف أما في الجنوب (الصحراء)، فتسير في فصل الخريف، فيذكر الإدريسي أن "هذه الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف "[12]، وكان المسافرون فيها

[1]- عبدالكريم جودت يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجرين (9-10م) ديوان الموضوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص:211.

[2]- لطيفة شباري بن عميرة:العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المصدر السابق، ص:77.

[3]- مبخوت بوداوية:المرجع السابق، ص:314.

[4]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان، المصدر السابق، ص:88.

[5]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص:441.

[6]- عبدالكريم جودت يوسف :المرجع السابق، ص:212.

[7]- لطيفة بشاري بن عمرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المصدر السابق، ص:79.

[8]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:91،

[9]- مبخوت بداوية: المرجع السابق، ص:315.

[10]- عبدالكريم جودت يوسف: المرجع السابق، ص:211.

[11]- لطيفة بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص: 80.

[12]- الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (نزهة المشتاق)، المصدر السابق، ص: 31.

يوقرون جمالهم في السحر الأخير ويمشون إلى أن يشتد الحر فيحطون أحمالهم ويقيدون جمالهم ثم يخيمون على أنفسهم ظلالا تقيهم حر الهجير إلى أول وقت العصر حيث يواصلون مسيرهم إلى أن يحل الظلام، فيحطون رحالهم حيثما وصلوا يبيتون ليلتهم[1]، و عند طلوع الفجر تستأنف القافلة سفرها حتى ترتفع درجة الحرارة فتتوقف مرة أخرى وفي بعض الأحيان تقضي الليل كله في السير[2]، وكان يتراوح متوسط سرعة القافلة في الصحراء بين ثلاثة وأربعة كيلومترا في الساعة الواحدة، وكانت تقطع القافلة ما بين خمسة وثلاثين وأربعين كيلومترا بمعدل عشر ساعات سيرا في اليوم[3].

ج-المخاطر التي تواجه القافلة أثناء الرحلة:

كان التجار يتعرضون أثناء رحلاتهم إلى عدة أخطار منها:

1-الرياح والعواصف:

كانت تشكل الرياح أضرارا للقافلة لأنها تحمل ذرات الرمل الدقيقة وتدفع بها إلى أجزاء الجسم، المسافر فتكون كسكاكين حادة، فإذا تراكمت ذرات الرمل حول الواقف قبرته في بضع دقائق[4] ، ولذا لابد من سرعة الحركة أثناء هبوب العاصفة [5].

2-ندرة المياه:

كان المسافر في الصحراء يختار الطريق الذي يتوفر فيه الماء على مسافات متقاربة[6]، ويذكر الحسن الوزان أن الطريق الرابط بين ايولاتن وتنبكتو لم تتوفرعلى منابع الماء فلا يوجد إلاّ بعد مائة أو مائتي ميل[7]، وذكر لنا ابن بطوطة أثناء رحلته من تغازا الى ايولاتن في كتابه:"ولقد لقينا قافلة في طريقنا فأخبرونا أن بعض الرجال انقطقعوا عنهم فوجدنا أحدهم ميتا تحت الشجرة عليه ثيابه وفي

[1]- عبد الكريم جودت يوسف: المرجع السابق، ص: 213.

[2]-لطيفة بشاري: تجارة خارجية لتلمسان ، المرجع السابق، ص ص:92 ، 93 .

[3]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص: 315.

[4]- بلعربي: "تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى....." ، المرجع السابق ص:39.

[5]- لطيفة بشاري بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط ، المرجع السابق، ص:83.

[6]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص:315.

[7]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص:148.

يده سوط وكان الماء على نحو ميل منه "[1] ، وكذلك الطريق الرابط بين سجلماسة وتنبكتو وأحيانا أخرى كان المسافرون يلجأون إلى شراء الماء[2].

3-الضياع:

ومن الأخطار التي تواجه القافلة هو الضياع، والنتيجة الحتمية له هو الموت، فلجأ التجار إلى المحافظة على وحدة القافلة لتفادي هذا الخطر، وذلك بوصل ذيل الجمل الأول برأس الجمل الثاني بحبل[3].

4-قطاع الطرق وأمن القافلة:

كانت القوافل التجارية تتعرض لمضايقات قطاع الطرق الذين كانو ينشطون بكثرة في المناطق الشمالية[4]، خاصة في فصل الشتاء فمثلا في الطريق الرابط بين تلمسان وفاس كان يكثر فيه قطاع الطرق أغلبهم من الأعراب[5]، وكان ملوك بني عبد الواد يدفعون أموالا ويقدمون هدايا كثيرة للقبائل العربية المنتشرة حول طرق القوافل المتوجهة إلى الغرب والجنوب حتى تحرسها، ومع ذلك فإنهم كثيرا ما كانوا يغيرون على التجار[6].

ولقد كان التجار يعتمدون على أنفسهم ، في حماية قوافلهم بعدة وسائل منها حمل السلاح والإستعانة ببعض الحراس المسلحين، إلى جانب ذلك كانوا يدفعو ن أموالا لشيوخ القبائل التي تعيش في المناطق التي يمرون بها والأكثر خطورة[7]، لكن عندما أصبح الضعف يدب في الدولة الزيانية، لم تعد توجه العناية الكبيرة للمسالك التجارية مثلما كانت عليه خلال عهد السلاطين الأقوياء مثل أبو تاشفين الأول وأبو حمو موسى الأول والثاني[8] ، عندما كانت في أوج قوتها قامت الدولة الزيانية، ببناء أبراج للمراقبة في النقاط الإستراتيجية من الطرق الشمالية[9]، كما عملت بعض

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص:442.

[2]- مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:316.

[3]- بشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص: 96.

[4]- خالد بلعربي: " تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط"، المرجع السابق، ص: 39.

[5]- مبخوث بوداوية: المرجع السابق، ص: 316.

[6]- لطيفة بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص:84

[7]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص:316.

[8]- مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الإقتصادية والثقافية)، ج2، منشورات الحضارة: الجزائر، ط1، 2009م، ص: 151.

[9]- لطيفة من عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص: 84.

ممالك بلاد السودان مثل مالي على توفير الأمن طوال القرن الرابع عشر الميلادي وهذا ما ذكره لنا ابن بطوطة في رحلته: " فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم، سارق أو غاصبا "[1] .

كما لجأ التجار إلى الحيلة لتخليص أنفسهم والنجاة بأموالهم من قطاع الطرق، إذ تظاهروا بأ نهم مصابين بالجذام، فهربوا منهم وإبتعدوا عنهم خشية العدوى [2].

د-المحطات التجارية:

كانت التجارة في بداية الأمر بسيطة بين السكان المستقرين على أطراف الصحراء والبدو المتجولين لسد متطلباتهم، ونظرا للتباين الواضح في إنتاج المنطقة الصحراوية والأقاليم المجاورة لها إتسع نطاق هذا التبادل[3]، خاصة بعد ظهور العديد من الأسواق يتم فيها بيع وشراء مواد، وإتخذها التجار كمحطات لراحتهم [4] ، ومن أهم هذه المحطات هي:

وجدة: تقع على الطريق الرابط بين تلمسان وفا س أغلب سكانها من التجار، تبعد عن العاصمة الزيانية بحوالي ثلاث مراحل [5]، وهي محطة قوافل المتجهة منها الى المغرب الأقصى أو العائدة إليها[6].

سجلماسة: تقع سجلمسة على الطريق الغربي المؤدي إلى غانة، و المسافة بينها وبين غانة شهرين وبينها وبين الوادي درعة خمسة أيام[7]، وبينها وبين فاس عشرة أيام[8] ، وتبعد عن تلمسان بحوالي عشرة مراحل[9]، فهي منفذ هام إلى بلاد السودان تنتقل من خلالها تجارة الزيانين وقوافلهم التجارية حيث يقول البكري:"ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة وبينها وبين غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة[10]"وكان الزيانيون يتاجرون مع بلادالسودان بوكلات

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص:450.

[2]- بشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص: 100.

[3]- الدالي الهادي مبروك:المرجع السابق، ص:294.

[4]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:60، 61.

[5]- البكري: المصدر السابق، ص:88.

[6]- لطيفة بن عميرة: العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط، المرجع السابق ، ص:50.

[7]- البكري: المصدر السابق، ص:149.

[8]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج3، ص:192.

[9]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:60.

[10]- البكري: المصدر السابق، ص:149.

أقيمت في سجلماسة وعلى رأسها شركة الإخوة المقري، ولتعتبر أهم محطة شمالية لطـــرق قوافـــل المغرب المتجهة إلى السودان الغربي ومحطةوصول ذهب وعبيد غانة[1].

ولاته (إيولاتن): كان إبن بطوطةأول من دخل إيولاتن من الجغرافيين العرب زارهـــا ســـنة 752هـــ / 1351 م ووصفها لنا وصفا دقيقا عن عادات وتقاليد سكانها وذكر أنهـــا كانـــت مقصدا للتجارمن كل جهة[2] تأسست في سنة 1224 م تقع شمال غانة على طريق القوافل القادمة من سجلماسة على مسيرة حوالي شهرين منها[3]، وهي تبعد عن تنبكتو غربا بـــ 450 كلـــم وعن المحيط الأطلسي شرقا بحوالي 900 كلم ، وأغلب سكانها من مسوفة الذين كانوا يمارســـون مهنة أدلاء القوافل التجارية في الصحراء، ويقدمون لها الخدمات الضرورية وقد إستقر بها إثنان من أسرة المقري[4]، هما: عبد الواحد وعلي، وذلك في النصف الأول من القرن الثامن الهجري الرابـــع عشر الميلادي[5].

تنبكتو: تأسست جوالي القرن الخامس للهجري الحادي عشر الميلادي وذلك على يد قبيلة مقشرن الطارقية[6] ، حوالي سنة 494 هـــ/1100م[7]، ويعني إسمها " بئر بكتو "، وبكتو إســـم العجوز التي كانت تحرس البئر[8] ، وذكرها الحسن الوزان باسم " تنبكتو " ووصفها وحدد موقعها بقوله "... على بعد إثنـــي عشر ميلا من أحد فروع النيجر...و دور تنبكتو عبارة عن أكـــواخ مبنية بأوتاد مملوطة بالطين ومسقوفة بالتبن، وفي وسط المدينة مسجد بنى بالحجر المركب بـــالطين والجير على يد مهندس أندلسي "[9]، وتعد المدينة حلقة وصل بين الـــسودان الغـــربي والـــصحراء الكبرى، وهي في ملتقى طرق القوافل مما أكسبها أهمية تجارية[10].

---

[1]- لطيفة بن عميرة: العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص:52.

[2]- جميلة بن موسى: تجارة الذهب للمغرب الإسلامي، والسودان الغربي من القرن 9م إلى 11م، منشورات بلوتـــو، الجزائـــر، ط1، 2011م ، ص:220.

[3]- إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطؤها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983م، ص:293.

[4]-لطيفة بشاري بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، ص:56.

[5]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص: 66.

[6]- السعدي: المصدر السابق، ص: 20.

[7]- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص: 218.

[8]- السعدي:المصدر السابق، ص: 20.

[9]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص: 165.

[10]- سعد غيث أحمد مطير: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في المجتمع السودان الغربي (دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقـــي)، المـــدار الإسلامي، (د، ط)، ط 1، 2004م، ص: 188.

توات: يشتمل إقليم توات على ما يزيد عن الثلاثمائة وخمسين من الواحات والقصور المتناثرة فوق مساحة تغطي حوالي ألفي ميل مربع من الصحراء[1]، تعتبر مركزا تجاريا هاما خصوصا للقوافل التجارية المتجهة من شمال المغرب إلى السودان الغربي وذلك لموقعها الجغرافي الممتاز حيث تتوسط الصحراء وتتوفر على الموارد المائية والكلأ للدواب[2]، كما إزدهرت واحاتها إقتصاديا وإمتلأت أسواقها بالسلع الواردة من تلمسان ومن مالي وبذلك أصبحت ملتقى لشبكة هامة من الطرق تصلها بعدد كبير من المدن[3] ، وفي ذلك يقول الفشتالي عن إقليم توات:"أنه أوسع وطنا وأفسح مجالا وأقرب للسواد إتصالا وجوارا"[4].

تغازا:هي مدينة مأهولة بالسكان موقعها متوسط بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ومعظم سكانها من قبيلة مسوفة إحدى قبائل صنهاجة [5]، وتعتبر محطة للقوافل التجارية القادمة من سجلماسة وتوات وطرابلس وغدامس وعين صالح في إتجاه بلاد السوادن، وتقع جنوب سجلماسة بحوالي خمسة وعشرون يوما، وتسمي مدينة الملح[6].

أودغشت: واحة تقع على بعد إحدى وخمسين مرحلة جنوب سجلماسة[7]، وإثنتي عشر مرحلة شمال غرب غانة[8]، وهي أولى وأقدم المراكز التجارية الإسلامية التي ظهرت ببلاد السودان الغربي ذكرها ياقوت الحموي با لفتح ثم السكون أودغشت[9]، ووصفها البكري بقوله:"أودغشت وهي مدينة كبيرة آهلة... وسوقها عامرة الدهر كله لايسمع الرجل فيها كلام جليسه بكثرة جمعه وضوضاءأهله وتبايعهم بالتبر وليست عندهم فضو وبها مباني حسنة ومنازل رفيعة..."[10]، ساعدها

[1]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:62.

[2]- عبد القادر باجي: الإمام المغيلي عصره وحياته (دراسة تاريخية وتحليلية وتوثيقية)، ج1، وزارة الشؤون الدينية الأوقاف، تلمسان، (د، ط)، 2011م، ص:62، 63.

[3]- لطيفة بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص:53.

[4]- عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصافي في مآثر موالينا الشرفا، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب، (د، ط)، 1972م، ص:73.

[5]- مبخوت بودواية : المرجع السابق، ص:298.

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص:441.

[7]- البكري: المصدر السابق، ص:159.

[8]- الادريسي: المصدر السابق، ص:19.

[9]- الحمودي: المصدر السابق، ص:20.

[10]- البكري: المصدر السابق، ص:159.

موقعها الجغرافي في إستقطاب التجار إليها، وهي محطة تجارية هامة لقوافل الصحراء القادمة من الشمال[1].

غانة: تأسست مدينة غانة في القرن الرابع الميلادي[2]، تقع على بعد خمسين يوما من سجلماسة ويذكر البكري في كتابه "[3]، المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة... ومدينة الملك على ستة أميال من الأولى..."[4]، ونظرا لموقعها الإستراتيجي أهلها إلى إستقبال القوافل القادمة من الشمال ومن الجنوب معا، خاصة أن أرض التبر الجيد والمشهور[5].

غاو: تقع جنوب مدينة تادمكة، وهي تبعد بتسع مراحل جنوب تادمكة و هي مدينة كبيرة على نهر ينبع من الجبال، ويذكر مارمول كربخال في كتابه:"ينعم أهل غاو بثراء نسبي، ويشتغلون بالتجارة في كثير من ا الجهات الافريقية وكثير من تجارهم يأتون من المناطق الداخلية، بالذهب الذي يستبدلونه بالبضائع المستوردة من أوروبا وبلاد البربر"[6]، وهي محطة للقوافل المغربية، التي كانت تأتيها من مختلف الجهات، وإشتهرت بسوقها الأسبوعي، الذي يباع فيه العبيد بأثمان بخسة، لايتجاوز ثمن العبد الشاب الآمة الشابة ستة عشر درهما[7].

مالي: تأسست سنة 1238م أو بعدها بقليل، أي في عهد الملك سون دياتا، مؤسس إمبراطورية مالي، وتبعد مدينة نياني (مالي) عن إيولاتن بمسيرة أربعة وعشرين يوما[8]، وقد أصبحت مركزا تجاريا هاما في بلاد السودان الغربي ومحطة للقوافل التجارية العابرة للصحراء، وفد عليها تجار مغاربة، وكانوا يسكنون أحياء خاصة منها ويرأسهم شيوخهم، ولما زارها ابن بطوطة وجد الفقيه الجزولي يرأس التلمسانيين، وهو صهر عبد الواحد المقري، بالإضافة إلى محطات تجارية المذكورة [9]، توجد مراكز أقل أهمية، تستقبل القوافل التجارية الرابطة بين تلمسان وممالك السودان الغربي، منها:

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص ص:157، 158.

[2]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص: 300.

[3]- القلقشندي: المصدر السابق، ج 5، ص: 284.

[4]- البكرى: المصدر السابق، ص: 175.

[5]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص: 74.

[6]- مارمول كربخال: إقريقيا، ج3، تر:محمد زنبير وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، المغرب، (د، ط)، 1984م، ص:204.

[7]- مارمول كربخال: المصدر نفسه، ص:205.

[8]- بشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص: 74.

[9]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص: 450.

تكدة: أسسها الملثمون من صنهاجة تقع على بعد عشرين مرحلة جنوب غرب ورقلة (ورجلان) تقريبا[1]، وكان بها المنجم الوحيد للنحاس الأحمر بإمبراطورية مالي، وكان إنتاجه يؤخذ، في عهد الإمبراطور منسى موسى إلى عاصمة البلاد، وتباع مائة مثقال منه بسبعين مثقالا من الذهب، كان أكبر مصدر للضرائب التي كانت تجنيها الدولة آنذاك[2] ، وكان أهل تكدة في رفاهية وسعة حال، لوجود معدن النحاس به على مقربة من بلدهم فكانوا يأتون به، ويسبكونه في دورهم، ويصنعون منه قضبانا في طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ، ويتخذون هذه القضبان صرفا لهم فيشترون برقاقها اللحم والحطب، ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح [3].

تادمكة: تقع هذه المحطة شمال غاو، على بعد تسعة أيام[4]، ويحدد لنا البكري المسافة بين تادمكة وورجلان وغيرهما بقوله: " فإذا أردت من تادمكة إلى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما، إلى ورجلان وهي سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى أعزم أن يكامى أي حصن العهود..." ويصفها أيضا بقوله: " مدينة تدمكة مدينة كبيرة بين الجبال والشعاب وهي أحسن بناءا من مدينة غانة ومدينة غاو، ومدينة كوكوا، وإن اسمها تادمكة يعني "هيئة مكة "[5]، وكانت ملتقى للقوافل التجارية بين السودان الغربي وشمال إفريقيا في القرن التاسع الميلادي.[6]

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 7، ص: 108.

[2]- لطيفة بشاري بن عميرة :العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط ، المرجع السابق ، ص: 66.

[3]- زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، (د، ط)، 2013م، ص:120.

[4]- بشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص: 76.

[5]- البكري: المصدر نفسه، ص ص: 182، 183.

[6]- عبد الكريم يوسف جودة: المرجع السابق، ص: 182.

المبحث الثاني:حركة التبادل ونظم التعامل بين الإقليمين:

1-الحركة التجارية:

لقد إهتم حكام الدولة الزيانية بالتبادل التجاري مع السودان الغربي منذ وقت مبكر، لإعتقادهم أن ثروة البلاد تكمن في إمتلاك أكبر كمية من الذهب[1]، هذا ما يفسر قول السلطان أبو حمو موسى الأول:"لولا الشناعة لم أنزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجر السفهاء إلى المفاسد"[2].

ولا شك أن التجارة مع بلاد السودان الغربي ساهمت في إثراء تلمسان والتلمسانيين، إلى الحد الذي أصبح فيه حكامها قادرين على منح قروض لغيرهم، كما إرتبط هلال القطلاني، حاجب أبي تاستفين الأول، بالصداقة مع(منسى موسى)، مالك مالي (707م أو712هـ/1307م أو 1312م) عندما إلتقى به في موسم الحج بمكة.[3]

وبفضل تشجيع حكام تلمسان للتجارة الخارجية، اشتغل عدد كبير من سكان العاصمة، والمدن الأخرى بها، مثل الإخوة المقري[4]، قاموا بتأسيس شركة تجارية اتخذت من تلمسان مقرا لها وكانلها فروع في مختلف المدن السودان الغربي[5]، ووصفها لسان الدين ابن الخطيب في

---

[1]- لطيفة بشاري بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص:119.

[2]- المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت:1040م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، مج5، تح:إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، (د، ط)، 1968م، ص:206.

[3]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:141، 142.

[4]- الإخوة المقري:هم خمسة اخوة قرروا إستثمار أموالهم بصورة مشتركة تقاسموا الأرباح فيما بينهم بالعدل واللإنصاف، استقر اثنان منهم في تلمسان بينما أقام أكبرهم بيتافي سجلماسة وأسس الإثنان الباقيان مركزا تجاريا في إيولاتن، وكانوا يحظون بثقة سلطان مالي ويعاملهم كأشخاص أعزاء على قلبه ، وكانت لهم الحظوة والمقام الرفيع لدى سلطان تلمسان ، جزاء ما كانوا يجلبونه من ثراء لعاصمته فيساهمون في إثراء الخزينة بفضل الأتاوات التي يدفعونها ، بنظر:جيلالي صاري: تلمسان الزيانية، إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث، تز: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، تلمسان-الجزائر (د، ط)2011م، ص:88 بنظر أيضا دهنية عطا الله"العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء من القرن السادس الى الثامن الهجري، ودور تلمسان في هذا المجال، مج1، مجلة الاصالة، ع:26:وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، تلمسان، 2011م، ص:102، 103

[5]- لطيفة بن عميرة: "الإسهامات التلمسانيين في المجالين الإقتصاديين والديني بالسودان الغربي " تلمسان الإسلامية (بين التراث العمراني والمعماريوالميراث الفني)ج2، أعمال الملتقى دولي بتلمسان نمنشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، ص:73.

الإحاطة:"ان هذه العائلة قد مهدت الطريق الى الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجارة واتخذ طبل الرحيل وراية التقدم عند المسير"[1]، وقد تعامل الإخوة المقري مباشرة مع ملوك مالي، الذين أحسنوا إستقبالهم وشجعوهم على ممارسة التجارة في بلادهم، وتبادلوا الرسائل مع منسى موسى[2] ، الذين خاطب بعضهم "بالصدق الأحب والخلاصة الأقرب[3]، كما كان يطلب منهم تزويده بما يحتاجه من البضائع ، وبذلك أصبحوا همزة وصل بين حكام الدولة الزيانية وملوك السودان الغربي في مجال التجارة[4]، إلى جانب عائلة المقري، إشتهرت عائلات تلمسانية أخرى، بالتجارة مع بلاد السودان، مثل عائلة العقباني وعائلة المرازقة.

كما إلتقى ابن بطوطة، أثناء رحلته بعدد من التجار التلمسانيين، كانوا يقيمون بمالي ذكر منهم:الفقيه الجزولي الذي كان شيخ التلمساني بها، وصهره الفقيه عبد الواحد المقري وإبنه، والشيخ اللبان التلمسان الذي كان مقربا من منسى موسى"حوالي 1341، 1360م.[5]

كما عرف عن التجار الدولة الزيانية حسب ما ذكره الحسن الوزان في قوله:"رجلا عدولا، مخلصي، ومستقيم، في تجارتهم"[6]، وأضاف مارمول كربخال: "أنهم أناس طيبون أوفياء في تجارتهم، معتزون بالنظم والحضارة وحسن التدبير، ومهذبون مع الأجانب" [7]، وهذه الصفات السبب في تقرب ملوك السودان الغربي منهم، وإستقبالهم في حواضرهم ومصابعدتهم[8] ، ويقول المقري في كتابه:"فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء وإستولدوا الإماء..."[9].

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب (ت:779):الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، تج:محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م، ص:191.

[2]- **منسى موسى**:تولى حكم مالي(1312-1337م)عرف هذا الملك باسم"كانكان موسى"أيضا"كانكان"هو اسم والدته، إذ كانت من أصل نبيل، بعد منسى موسى من أعظم ملوك مالي وكان رجلا كريما وصالحا ورعا متسامحا، وفي عهده دخل الإسلام إلى مالي، وأقام علاقات مع العالم الإسلامي، ينظر:حسن أحمد محمود :المرجع السابق، ص:81، 82.

[3]- المقري: لمصدر السابق، ج5، ص:206.

[4]- لطيفة بشاري بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص:120.

[5]- لطيفة بشاري بن عميرة: "إسهامات التلمسانيين في المجالين الإقتصادي والديني بالسودان الغربي"، المرجع السابق، ص:75.

[6]- الحسن الوزان: لمصدر السابق، ج2، ص:142.

[7]- مارمول كربخال: المصدر السابق ج3، ص:300.

[8]- لطيفة بشاري بن عميرة: "إسهامات التلمسانيين في المجالين الإقتصادي والديني بالسودان الغربي"، المرجع السابق، ص:75.

[9]- المقري: المصدر السابق، ج5، ص:210.

وكان العرب المقيمون بالمغرب الأوسط من ذوي عبيد الله[1]، من المعقل وبني عامر، من زغبة يمارسون التجارة في بلاد السودان الغربي وكان ذوي عبيد الله يقومون برحلة في الشتاء كل سنة، من بلادهم الواقعة قبلة جنوب تلمسان، فيتوجهون إلى قصور توات أو بالأخص تمنطيط ومنها إلى أرض السودان[2].

إستمرت الحركة التجارية نشطة بين الدولة الزيانية وممالك السودان الغربي، إلى القرن التاسع الهجري أو الخامس عشر الميلادي (9هـ، 15م)، ولما أخذت تضعف أثناءه الدولة الزيانية بسبب الأوضاع السياسية في منطقة المغرب الإسلامي، والذي نتج عنه تأثر الإزدهار الممالك، السودانية بعث سلطان بورنو برسالة إلى علماء توات، يشكوهم فيها قلة عدد التجار، الذين يقصدون بلادهم، كما كانوا يفعلون من قبل[3].

على الرغم من ذلك فإن الحركة التجارية لم تتوقف تماما، بل نشطت من جديد في عهد مملكة صنغاي، فهيأ ملوكها كل الظروف لإستقبال التجار في بلادهم، ويوفرون لهم الأمن ويستقبلونهم في قصورهم[4]، وبهذا تكاثر عدد التجار التواتيين في تنبكتو وغاو وفي عهدالأسقيا الحاج محمد الأول سنة (1493-1528م).[5]

2-الصادرات والواردات المتبادلة بين الإقليمين:

إن الظروف الطبيعية للدولة الزيانية من تضاريس ومناخ، جعلها منطقة فلاحيه يتنوع فيها الإنتاج، حسب نوعية التربة، كمية الأمطار، وأحيانا يفيض إنتاج بعض المزروعات عن حاجة السكان[6]، فكان تجار تلمسان يصدرون إلى بلدان الجنوب (السودان الغربي)منتوجات المغرب الأوسط(الدولة الزيانية)الصناعية والزراعية والبضائع التي كانوا يستوردونها من وراء البحار[7]، كما

[1]- **ذوي عبيد الله**:هم فرع من قبائل العربية، يسكنون في الصحراء بين كومي وفجيج، لهم أراضي زراعية كثيرة ، يتلقون اعانات مالية من ملك تلمسان، عرفت عنهك باللصوصية، وكانوا يرتحلون في فصل الصيف الى تلمسان، بنظر :الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2 ،ص:56.

[2]- لطيفة بشاري بن عميرة: "اسهامات التلمسانيين في المجاليين الاقتصادي والديني بالسودان الغربي"، المرجع السابق، ص:75.

[3]- لطيفة بن عميرة: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:131.

[4]- عبد القادر زبادية: مملكة صنغاي في عهد الأسقيين، المرجع السابق، ص:213.

[5]-لطيفة بشاري بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الاوسط، المرجع السابق، ص:122.

[6]- لطيفة بشاري: "صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد ألواد " مجلة عصور الجديدة ع:7، 8، جامعة وهران، الجزائر، 2012م، ص51..

[7]- محمود بوعياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص ص:34، 35.

كانوا يفدون إليهالجلب المنتجات التي يحتاجونها، فكانت الدولة تصدر وتستورد منتجات كثيرة[1] متمثلة في:

أولا :الصادرات.

وقد شملت صادرات الدولة الزيانية إلى السودان الغربي منتجات متنوعة منها:

1-المواد الزراعية:

أ-القمح:يعد من المواد الزراعية الأساسية، بالرغم من أنه ينتج في بعض المناطق كسهول نهري النيجر والسنغال[2]، فكان يجلب من تلمسان وينقل برا إلى سجلماسة، ومنها تحمله القوافل إلى بلاد السودان الغربي، التي لم يكن إستهلاكه فيها منتشرا بين الأوساط الشعبية[3]، بل كان يستهلكه الأثرياء من السلاطين والملوك والتجار والغرباء، وقد بلغ سعر القنطار منه، في أودعشت ستة[4] ، مثاقيل ذهبا في القرن الثاني عشر الميلادي، وكان سعره في بلاد السودان، عموما وتكدة خاصة يزيد بمقدار ثلثين عما كان عليه في المغرب الأوسط في تلك الفترة في هذا الصدد يذكر ابن بطوطة في كتابه الرحلة:"بحساب عشرين مدا من إمدادهم، بمثقال من الذهب (دينارا) ومدهم ثلث المد ببلادنا"[5]

لم يتغير سعر القمح كثيرا في الفترة مابين القرن الثاني عشر والسادس عشر الميلاديين (6-10م) وقد يعود ذلك إلى الإستقرار السياسي الذي عرفته المنطقة بإستثناء أيام المجاعات أوفترات الإضطرابات في الدولة الزيانية، لأنه كلما قل الأمن في الطرقات أو في البلاد يقل ورود القوافل وتنقص كميات القمح، ترتفع أسعاره في الأسواق، وفقا لنظام العرض والطلب، وكذلك قلة الطلب عليه بسبب عدم انتشاره استهلاكه في الأوساط الشعبية.[6]

[1]- خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص:262.

[2]- عبد القادرزبادية: الحضارة العربيةوالتأثير الاوروبي، المرجع السابق،ص:36.

[3]- لطيفة بن عميرة: "الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك السودان الغربي"، حولية المؤرخ ع:5، تصدر عن اتحاد المؤرخين الجزائرين، جوان 2005م، ص:89.

[4]- لطيفة بشاري: "صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد"، المرجع السابق ص:51.

[5]- ابن بطوطة:المصدر السابق، ص: 453.

[6]- بشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:242.

ب–الفواكه:

كما كانت تصدر الدولة الزيانية نحو السودان الغربي، التين المجفف الذي يكثر إستهلاكه في غانة[1]، بالإضافة إلى الزبيب وعين البقرة، التي كان يقيل عليها سكان بلاد السودان فكان سعرها هناك مرتفعا مثل سعر القمح[2]، والتمر من الواحات الصحراوية على رأسها واحة ورقلة (ورجلان)توقرت وتوات وسجلماسة في إتجاه بلاد السودان، وقد ذكر صاحب الفتاش أنه في سنة 1594م كان يباع في سوق تنبكتو كل عشر تمرات من تمر بسكرة بخمسة ودعيات.[3]

ج–الحيوانات:

1–الخيل:إعتنى التلمسانيون بتربية الخيول، وترويضها وكانت من أهم الصادرات إلى بلاد السودان الغربي، فانه لا يملكها إلى النبلاء والملوك[4]، لكن لم تذكر المصادر أن الخيول كانت منتشرة في بلاد السودان الغربي، غير أن سكانهم كان يفضلون الخيول المغربية على خيولهم الصغيرة الحجم لأن خيول بلاد المغرب أقوى وأكبر وأصلح للحرب التي كانت تستمرفي المنطقة[5]، وكانت الخيول تصل مع القوافل إلى بلاد السودان بعد عشرة أو اثني عشر يوميا، تقدم للملك فيختار منها العدد الذي يريده، ويدفع ثمنا مناسبا.[6]

كانت غاو سوقا رائجا لتجارة الخيول الأصلية مع سروجها، وكان التجار يحققون أرباحا وفيرة من جراء هذه التجارة فقد بلغ سعر الحصان الواحد في غاو(40، 50) مثقالا، فقد لاحظ ابن بطوطة أثناء رحلته إن الخيل غالية الأثمان"[7] ، أما الحسن الوزان الذي جاء بعد ابن بطوطة بحوالي قرن ونصف فيقارن بين ثمن الخيل بأوروبا، وثمنها ببلاد السودان الغربي حيث يقول "إن الحصان الذي يباع بعشر داكات، يباع هناك (أي في بلاد السودان الغربي) من أربعين إلى خمسين

[1]– لطيفة بشاري بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المرجع السابق،ص:199.

[2]– لطيفة بن عميرة: "صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الوأد"، المرجع السابق، ص:52.

[3]– محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان في الجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، هوداس، باريس، (د، ط)، 1981م، ص:219.

[4]– لطيفة بن عميرة: "صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد"، المرجع السابق، ص:52.

[5]– بشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:246، ينظر أيضا: الدالي الهادي مبروك: المرجع السابق، ص:333.

[6]– الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص: 468.

[7]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ص:451.

دوكا"[1]، وفي كثير من الأحيان كان الخيل يباع مقابل العبيد، وكان الحصان الواحد يساوي خمسة عشر عبيدا وفي بعض الأحيان إلى عشرين عبيدا[2].

2- الجمال: كان التجار يأخذون معهم الجمال، ويبيعونها في بلاد السودان الغربي، حيث كانت أسعارها تختلف باختلاف أنواعها، فمنها التي تسعمل للركوب وهي أرقى الأنواع [3]،

فقد اشترى ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري(14م)، جملين للركوب في تكدة بسبعة وثلاثين مثقالاوثلثا[4]أي بمعدل ثمانية عشر مثقالا ونصف تقريبا عشر وخلال القرن السادس عشر الميلاد بين(9-10هـ)الى ما بين أربعة وسبعة مثاقيل من الذهب[5]، وهناك من الجمال ما تستعمل في النقل،وهي متوسطة الثمن،و أما أدناها فهي المستعملة في الجر، وتكون في القالب، كبيرة السن أو مصابة بعاهة[6].

د-المواد الصناعية:

كان قسم من الأقمشة يصنع في صنغاي، أما القسم الآخر فكان يجلب من بلاد المغرب ومن أوروبا عبر مراسي المغرب، حيث إن التجار الإيطاليين كانوا يجلبونه خلال القرنيم الخامس عشر والسادس عشر إلى بلاد الشمال الإفريقي فيبيعون بضائع عدة على رأسها الأقمشة، كان قسم هام منها يصدر إلى السودان الغربي[7].

وكانت الأقمشة التي تصدر إلى السودان الغربي على نوعي منها التي اشتهر أهل تلمسان بنسجها، ويذكر يحي ابن خلدون في بغية الروادة"غالب تكسبهم... حوك الصوف يتغابون في أعمال أثوبه الرقاق فتلقه الكساء أو البرانس عندهم ثماني اواق والإحرام من خمس...ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا"[8]، حتى أصبح معظم لباس سكان السودان الغربي أيام الأسيقيين من الأقمشة القطنية[9]، وبهذاكانت للطبقة الحاكمة في تلك الفترة نوع خاص من القماش يصنع في

[1]- الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص:469.

[2]- لطيفة بشاري بن عميرة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص:201.

[3]- لطيفة بشاري بن عميرة :العلاقات التجارية للمغرب الاوسط ، المرجع السابق، ص:201.

[4]- عبد القادر زبادية: مملكة صنغاي في عهد الأسقيين، المرجع السابق، ص:204.

[5]- ابن بطوطة :المصدر السابق ، ص:454.

[6]- يحي ابن خلدون:بغية الرواد، المصدر السابق، ج2 ، ص:142.

[7]- مبخوات بوبواية: المرجع السابق، 325.

[8]- يحي ابن خلدون:بغية الدواء ، المصدر السابق، ص:42.

[9]-مبحوث بودرادية:المرجع السابق ، ص:325.

تلمسان، كانت الأقمشة من الخيوط الحريرية الطبيعية وسداها من القطن[1]، فصنع من الملوك لباسهم وكساء خيامهم، كما صنع منها القضاة والتجار والأغنياء عمائمهم وجبابهم وكفنوا بها موتاهم[2]، وهناك أنواع أخرى من الأقمشة المختلفة من كل ونوع وأما شهرها، الجوخ، والشاش[3]، وفي بداية القرن الخامس عشر تساوي في مملكة صنغاي، مثقالا من، إفريقي، وأوروبي، بيضاء، وملونة، مزركشة، صوفية، وقطنية، وحريرية، وكتانية الذهب، وكذلك الحال في قطعة من الحرير، طولها ثمانية أشبار.[4]

كما جلب إلى أسواق السودان الغربي أنواع كثيرة من السلع والبضائع أتى جزء منها من حوض البحر الأبيض المتوسط(أوروبا)عبر الموانى المغربية[5]، كالأسلحة المختلفة للدفاع والهجوم، لتسليح القوات المحلية، حتى يفرضوا احترامهم على جيرانهم، بالإضافة إلى السروج والالجمة والمهاميز، للأحصنة، أو البغال والجمال، والأدوات الحديدية، كالقدور، والأمواس والسكاكين والإبر والأواني المترلية الأخرى وادوات الزينة الجلدية، والنحاس الأصفر، والنحاس العادي، سواء على شكل سبائك وصفائح، أو قوالب وأسلاك النحاس، والكحل الحسناء، والكبريت ومعظم هذه الأدوات تأتي من البندقية الإيطالية الى موانى طرابلس والجزائر ووهران وهنين[6]، وفي هذا الصدد يذكر الحسن الوزان:" يحقق أهل مملكة غنيا، أرباحا هائلة في تجارة القماش القطن مع تجار بلاد البربر الذين يحملون اليهم الكثير من الثياب الاروبية والنحاس والسلاح كالخناجر[7].

كما كانت تشكل الروائح العطرية نسبة هامة من المواد التي تصدرإلى بلاد السودان الغربي، حيث يقبل عليها السكان فيشترونها بأثمان مرتفعة، ويجني التجار منها أرباحا كبيرة، ويستعملها في الغالب الملوك والقضاة والوجهاء والأغنياء، الذين كانوا يعطرون أجسامهم وثيابهم، ويشتريها العامة أشياء الخاصة النساء، فراجت في جميع أنحاء مملكي مالي وصنغاي، وكانت اغلب العطور

[1]- لطيفة بن عميرة: "صادرات امارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد"المرجع السايق، ص55.

[2]- بشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:255، ينظر ايضا: عبد القادرزبادية،مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص:204ـــ.

[3]- يحي بوعزيز:تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية، المرجع السابق ، ص 51.

[4]- عبد القادرزبادية: مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص:221.

[5]-–عطية عبد الكامل: المرجع السابق، ص55.

[6]- يحي بوعزيز: تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية، المرجع السابق، ص، 51. ينظر ايضا: عبد القادرزبادية: مملكة السنغاي، المرجع السابق، ص:221.

[7]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص:163.

تجلب من أوروبا عن طريق بلاد المغرب والى تلمسان، التي كانت تصنع جذورها أنواعا جيدة تستخرج من نبات ألحزامي الذي يكثر بها.[1]

بالإضافة إلى المرجان الذي تحمله القوافل، خاما أو على شكل مجوهرات، من المغرب الأوسط إلى السودان الغربي، فقد خصصت أسواق لبيعه لما يدره على أصحابها من أرباح لإرتفاع ثمنها.[2]

كما كان الزجاج من صادرات الدولة الزيانية الى السودان الغربي، على شكل أدوات وحلي تتزين به النسوة، كعقود أساور، وتصنع منها السبحات، وكانت هذه الأشياء مرتفعة الثمن في القرى المنتشرة حول نهر النيجر[3]، وإن المسافر في تلك البلاد لا يحمل زادا وإنما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج أو الخزر، وبعض السلع العطرية، فإذا وصل إلى إحدى القرى جاء نساء السودان بالذرة واللبن والدجاج ودقيق النبق والأرز والفوفي-وهو كحب الخردل يصنع منه الكسكس والعصيدة -ودقيق اللوبيا فيشتري منهن ما أحب من ذلك.[4]

وهناك أنواع أخرى من الحلي كانت تصدر إلى السودان الغربي، وهي مصنوعة من النحاس أو الفضة أو الذهب أو الصرف أو المحار أو الحجارة وأهم هذه القطع:القلادة والأقراط والأساور، وكان التجار يأتون بالعقاقير من مختلف أنحاء بلاد المغرب أوالمشرق الإسلاميين وأوروبا، ومن تلمسان تأخذ طريقها إلى بلاد السودان.[5]

كما كان التلمسانيون يصدرون الكتب الفقيهة والأدبية والعلمية، والورق والأقلام مرتفعة الثمن، وكانت تنبكتو سوقا رائجة لها وذلك بسبب إزدهار الثقافة العربية الإسلامية وإنتشار شكل واسع لها.[6]

ثانيا:الواردات:

هناك بعض المواد والسلع التي تنقلها القوافل التجارية الخاصة بالسودان الغربي، التي كانت تدخل أسواق الدولة الزيانية، فتلبي حاجة السكان أو تنقلها إلى أماكن أخرى منها:

[1]- لطيفة بشاري:التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:256، 257.

[2]- عبد القادرزبادية:مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص:223، 224.

[3]- لطيفة بشاري بن عميرة:العلاقات التجارية للمغرب الاوسط، المرجع السابق، ص: 210.

[4]- زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص: 119.

[5]- لطيفة بشاري: التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:261.

[6]- عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص: 56.

1-الذهب:

يعتبر الذهب من أهم صادرات السودان الغربي، ومحور المبادلات التجارية، فكان يستبدل بمختلف السلع سواءا منتجات زراعية أو صناعية[1]، وكان ذهب يتوفر بغاو وأودعشت وغانة ونقار...كما تجلب هذه المادة على أشكال مختلفة تبراوسبائك وقطعا نقدية[2]، كما أشاد الجغرافيون والمؤرخون بأهميته حيث يذكر القزويني في أثاره:"...والذهب ينبت في رمل هذه البلاد(السودان الغربي كما ينبت الجزر بأرضنا وأهلها يخرجون عند بزوغ الشمس ويقطعون الذهب"[3]

كما وصف الإدريسي قصرا أحد ملوك السودان الغربي ووجود تبره من الذهب قائلا:"أن له في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب تبره واحدة خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير أن تشبك في نار، أو تطرق بآلة، وقد نقر فيها ثقبا وهي مربطة لفرس الملوك، وهي من الاشياء المغربة التي ليست عند غيره، ولا صحت لأحد إلا له،وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان".[4]

ويذكر البكري في كتابه عن ملك غانة وكيفية تحليه بالذهب إذ يقول:"وملكهم يتحلى بحلي النساء في العنق، والذراعي ويجعل راسه الطراطير الذهبة عليها عمائم القطن الرفيعة....ويقول ايضا ان:وراء الملك عشرة الفلمان يحملون السيوف المحلاة بالذهب"[5].

كان التجار يعودون من السودان الغربي محملين بالذهب وهذا ما دفعهم الى تحمل مشقات السفر وصعوبة الطريق[6]، تتزايد الطلب عليه فقد أكد أغلب المؤرخي ان ذهب السودان الغربي، كان يغطي إحتياجات المغرب والأقطار الأوروبية معا[7]، وكان يباع بأسواق الشمال خاصة المغرب الأوسط تلمسان ووهران وهنين ، وكان التجار الأوروبيون من فلورنسا وجنوة والبندقية

---

[1]- لومبار موريس: المرجع السابق، ص:336.

[2] - coudray،relation commercials les de tlemcen avec sahara et le soudan ،dans bulletin de la sociate de geographie dalger،2 eme annee،1887،p:428.

[3]- القزويني: المصدر السابق، ص:18.

[4]- الادريسي" المغرب وارضي السودانومصر الأندلس (نزهة المشتاق)، المصدر السابق، ص:6، 7.

[5]- البكري:المصدر السابق، ص:175.

[6]- عبد القادرزبادية: الحضارة العربية،والتأثير الأوروبي، المرجع السابق، ص:39.

[7]- محمد الغربي:بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، (نشاته وأثاره، ج1، اش:نقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة، والنشر الكويت، (د، ت)ص:450.

وميورقة، وبرشلونة يأتون بمختلف السلع والبضائع لبيعها وإقتناء الذهب[1]، والعودة به إلى بلادهم حيث ترتفع قيمته أكثر هكذا تحول قيمة الذهب من عملة عادية في بلاد السودان الغربي، إلى معدن ذي أهمية في بلاد المغرب وإلى كنز ثمين في اوروبا[2].

2-الملح:

إشتهرت بلاد السودان الغربي بإمتلاكها لمناجم الملح العديدة ولعل من أهمها: ملاحات تغازة وأوليل بالإضافة إلى ملاحة تاوديني، كان معدن الملح يساوي وزنه ذهب في بلاد السودان الغربي، وهو من المعادن التي تهافت التجار على شراءها، فقد أشار ابن بطوطة في كتابه قائلا:"وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويبايعون به "[3]، إن كان السودانيون يتعاملون بالملح كنوع من العملات في شراء سلعهم مثل:الذهب والفضة، ويقول الحسن الوزان عنه"يستخرج الملح من المناجم بحفر سراديب كما يفعل بالرخام ومنه الرمادي والأبيض والأحمر ويكثر جدا في بلاد البربر ولا وجود في بلاد السودان خصوصا في أثيوبيا السفلى...ويجمد الملح في الصيف في بعض البحيرات الصغيرة والغدران ببلاد البربر"[4].

وكان وزن لوح الملح يبلغ أربعين كيلوغرام، وتشكل أربعة أحجار منها حمل بعير المتوسط[5]، وكانت الملح تباع بأثمان مرتفعة في السودان الغربي ووقفت مقايضتها بالذهب يأتي زنوج الجنوب حاملي معهم التبر الذي يضعونه على حافة الطريق بجانب أكوام من الملح كان قد حملها تجار الشمال ووضعوها هناك، ويقع التبادل بين الملح والتبر[6]، وقد أشار ابن بطوطة إلى ثمنه في القرن الرابع عشر قائلا:"حيث يباع الحمل منه في إيولاتن بعشرة مثاقيل إلى ثمانية وبمدينة مالي بثلاثين مثقالا إلى عشرين، وربما انتهى إلى أربعين مثقالا"[7].فكان يحمل إلى الناطق الخالية من الملح كأقليم

[1]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص:329.

[2]- لطيفة بشاري بن عميرة:العلاقات التجارية للمغرب الاوسط، المرجع السابق، ص:217.

[3]- ابن بطوطة:المصدر السابق، ص:288.

[4]- الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص:280.

[5]- اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص:55

[6]- اسماعيل العربي: المرجع نفسه، ص:56

[7]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص:674.

التكرور وتنبكتوالتي تستورده من تغازا، لذا كان الملح يشكل نصف أحمال القوافل لإحتياجاتهم إليه[1].

3-العبيد(الرقيق):

كانت تجارة الرقيق السود، في بلاد المغرب نافعة مزدهرة تأتي في الدرجة الثانية بعد تجارة الذهب[2]، وكان العبيد عبارة عن سلعة بشرية واسعة الانتشار في بلاد السوداني الغربي، فيأتي بهم من المناطق الداخلية والساحلية ويتم الحصول عليهم عن طريق الاستيلاء والقنص وأسرى الحروب، فكانت أسواق السودان الغربي عامرة بهم من مختلف الأعمار[3]، ومن أكبر أسواق النخاسة بها سوق مدينة غاو[4] التي تصدر منها العبيد نحو بلدان المغرب الإسلامي منها الدولة الزيانية حيث يتم نقلهم من وهران إلى الدول الأوروبية.[5]

ولقد كانت أسعار العبيد تختلف من السوق إلى أخرى ومن فترة إلى أخرى، فقد حدد لنا الرحالة ابن بطوطة، الذي إشترى مجموعة من العبيد من تكده ثمن العبد الواحد بخمسة وعشرين مثقالا من الذهب[6]، أما في عهد الحسن الوزان، فقد بيعت الجارية ذات الخامسة عشر في غاو بستة دوكات (أوقيات) من الذهب وفي برنو كان الحصان يساوي ما بين خمسة عشر إلى عشرين عبدا[7]، فكان العبيد يستخدمون في ميادين مختلفة مثل الصناعة، ويد عاملة في العديد من المناجم لاستخراج الملح والذهب والأحجار الكريمة والنحاس[8].

وكانت هذه العناصر (العبيد)من فئة المجتمع الزياني، فعمل أغلبهم في الحقول والجيش ومن الجواري اللائي يسحرن للخدمة في المنازل[9].

---

[1]- عبد القادرزبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي، ص:36.

[2]- عبد العزيز الفيلالي:المرجع السابق، ج1، ص:185.

[3]- عطية عبد كامل: المرجع السابق، ص55

[4]- لطيفة بشاري بن عميرة:العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص:220.

[5]- مختار الحساني:المرجع السابق، ج2، ص:157.

[6]- ابن بطوطة: مصدر السابق، ص:453.

[7]- الحسن الوزان: مصدر السابق، ج2، ص:47.

[8]- جميلة بن موسى: المرجع السابق ، ص:193.

[9]- عبد العزيز الفيلالي:المرجع السابق، ج1، ص:184.ينظر ايضا:خالد بلعربي: الدولة الزيانيةفي عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص:291.

4-ريش وبيض النعام:

كانت التجار يجلبون إلى الدولة الزيانية، ريش وبيض النعام من بلاد السودان الغربي[1]، حيث لقيا رواجا كبيرا في الأسواق، فكان يستعمل ريشها في حشو الأرائك والمخاد في البيوت والقاعات، وتستخدمه الطبقات الميسورة مراوح للتهوية أو للزينة، ولذا كان التجار يجلبون منه مقادير هامة أثناء رجوعهم من السودان[2]، أما بيضه فقد أستخدم في تركيب بعض الأدوية، كما أستخدم أيضا للزينة وذلك بتعليقه على الجدران، لذا عرفت أسعاره ارتفاعا في الأسواق السودانية.[3]

5-العاج:

كانت هذه العملة متوفرة بكميات كبيرة في مناطق السودان الغربي، وتكون عادة من أنياب الفيل وفرس النهر ووحيد القرن وكان يباع بسعر خمسين(50) فرنك للكيلوغرام الواحد[4]، ويعد من البضائع التي لاقت رواجا في أسواق الدولة الزيانية[5]، حيث أستعمل العاج في ميادين كثيرة من الترصيع، وفي حشوات المنابر ويدخل في صناعة الأثاث الفخم، وكان يقبل على شراءه الأوروبيون لاستعماله في صناعة تحف المعابد والتماثيل والعصي[6].

6-التوابل:

كان التجار السودانيون يجلبون التوابل والبهارات، من مناطق غابات الاستوائية[7]وهي متعددة الأنواع منها: الفلفل، وجوزه الكولا[8]، وعود القرنفل والراوند والزنجبيلوالقرفة، واستخدمت أما للطهي أو كعقاقير طيبة وكانت أثمانها باهظة جدا رغم ذلك كان الإقبال على شرائها شديدا[9].

---

[1]- لطيفة بشاري بن عميرة:العلاقات، المرجع السابق، ص:291.

[2]- عطية عبد الكامل:المرجع السابق، ص:55.

[3]- زبادية عبد القادر :الحضارة العربية والتأثير الأوروبي، المرجع السابق، ص:39.

[4]- عطية عبد الكامل:المرجع السابق، ص:55.

[5]- لطيفة بشاري بن عميرة:العلاقات التجارية لتلمسان، المرجع السابق، ص:229.

[6]- مبخوت بوداوية:المرجع السابق، ص:333.

[7]- زبادية عبد القادر:الحضارة العربيةوالتأثير الأوروبي ، المرجع السابق،ص:40.

[8]- ج-هويكتز: التاريخ الإقتصادي لإفريقيا الغربية ، تق: محمد عبد الغني سعودي ، تر: أحمد فؤاد بليع ، مكتبة الاعلى للثقافة:القاهرة، (د، ط)1998م ص:162.

[9]- لطيفة بشاري بن عميرة، التجارة الخارجية...المرجع السابق، ص:284.

7-الجوز:

إن تجار الزيانيين، كانوا يجلبون الجوز من الصحراء بلاد السودان الغربي، لأنه ياتي من منطقة الغابات وراء الصحراء ويباع بكثرة في تلمسان.[1]

3-نظم التعامل التجاري:

كان التعامل التجاري في أسواق الدولة الزيانية وبلاد السودان الغربي يتم بطرق مختلفة، منها البيع نقدا (أي البيع بالعملة)، وأحيانا أخرى يكون البيع بالمقايضة أي(بتبديل سلعة بأخرى)وفيه تكون المبادلات عينية، خاصة في بلاد السودان الغربي التي اتخذت فيها المقايضة أشكالا مختلفة، ومع مرور الزمن تطورت نظم التعامل وهي كالأتي:

أ-الأصداف:

تعتبر من أقدم نظم التعامل التجاري، واستعملت الأصداف كنقد في السودان الغربي، وخصوصا في أقاليم السنغال.[2]

ب-المقايضة:

كانت من أهم أساليب التعامل التجاري السائد في أسواق السودان الغربي، وأطلق عليها التجارة الصامتة، بحيث يصنع التجار الزيانيين سلعهم في مكان معروف ويختفون فيأتي التاجر السوداني فيضع كمية من الذهب بجوار السلعة ويبتعد عنها، ويعود التاجر الزياني، فاذا رضي بكمية الذهب أخذه وترك السلعة والا فانه يختفي من جديد ليزيد من يريد إقتناء السلعة مقابل زيادة في الذهب[3]، إذ كانت تتم وفق طقوس معينة، متمثلة في قرع الطبول عند وصول تجار المغرب الأوسط إلى السودان الغربي حاملين معهم منتجات الشمال[4].

وإتخذت المقايضة أشكالا أخرى من التبادل، ففي المناطق التي يقل فيها الذهب والملح (او كليهما)يتم التبادل بالمواد المحلية، كالعبيد والأقمشة والخيول وغيرها من السلع، فأهل مالي مثلا

[1]- عبد القادر زبادية: الحضارة العربية، المرجع السابق، ص:40.

[2]- بو لم دنيس:لمرجع السابق، ص:144.

[3]- لطيفة يشاري بن عميرة: "اسهانات التلمسانيين في المجاليين الاقتصادي والديني في السودان الغربي "، المرجع السابق، ص:57.ينظر Manny ;op.cit.p:265

[4]- جوان جوزيف: المرجع السابق، ص: 52.

يقايضون بالذرة واللبن والأرز والنحاس، فابن بطوطة أثناء زيارته للسودان الغربي قايض بمنتجات محلية ليستبد لها بالدجاج والدقيق[1].

ج-الودع:

كان التعامل بالودع في بلاد السودان الغربي، نسبة كبيرة حيث أن التجار يجلبونه بكميات كبيرة من الأندلس والمغرب، فكانت قيمته النقدية تختلف من وقت إلى آخر2، مثقال من الذهب يعادله أربعمائة ودعة.3

د-العملة:

تظهر العملات النقدية، سهلت في التعاملات والمبادلات التجارية[4]، فظهرت العملة الذهبية التي استعملت في تاد مكة وعرفت باسم "الصلع"، وهي من الذهب الخالص غير مختومة[5]

كما عرفت بلاد السودان الغربي نوع آخر من العملات التي تعامل بها السكان، وهو النحاس قد صنع على هيئة قضبان نحاسية رفيعة طولها بشر ونصف من الغلاظ والرقاق، فأربعمائة قضيب غليظ يساوي مثقال ذهب[6]، وستمائة أو سبعمائة قضيب رقيق تمثل مثقال ذهب مثقال، وكان استعمال القضبان النحاسية محدودا، إذا أستعمل لشراء اللحم والحطب، أما القضبان الغليظة فهي مخصصة لشراء الخدم والعبيد والقمح والسمن والذرة، واستعملت هذه العملة بتكدة بصور خاصة لاستهلاكها لمناجم النحاس[7].

[1]- البكري: المصدر السابق، ص:173.

[2]- عبد القادرزبادية :مملكة سنغاي، لمرجع الساي، ص:222

[3]- البكري: لمصدر السابق، ص:174

[4] - BADUEL PIERRE ROBERT ET AUTRES ;ENJEUX SAHARIEN ،IMPRIMERIE LUOIS JEAN ،PARIS:S.D.I ،P:82.

[5]- البكري:المصدر السابق،ص:181.

[6]- المثقال يساوي 29.116غرام.ينظر:baduel pierre pobert.op.p.24

[7]- ابن بطوطة:المصدر السابق، ص:799.

4/المكاييل والموازين والمقاييس في الدولة الزيانية والسودان الغربي:

أ-في الدولة الزيانية:

إن المكاييل والموازيين والمقاييس المستعملة في كل من الدولة الزيانية والسودان الغربي، لا تختلف عن ما كان موجودا في بقية انحاء البلاد الاسلامية، اذا لا يوجد تفاصيل عنها في المصادر التالية:

1-**المكاييل**:كانت المكاييل المستعملة في اسواق المغرب الاوسط والدولة الزيانية هي:

-**الصاع**:يستعمل الصاع في كيل الحبوب، ويسع أربعة أمداد في الشرع[1]، ويذكر الونشريسي أن الصاع الشرعي، يساوي أربعة حفنات، وأنه جرب ذلك بنفسه فوجده صحيحا[2]، ويختلف حجم الصاع المستعمل في الكيل التجاري من مكان إلى ىخر[3]، ويشير العقباني أن الصاع كان في القديم يعرف بالتاشنفي في تلمسان، عوض بصاع أكبر كان يستعمل في زمانه يعرف بوهراني.[4]

-**المد**:وهو مقدار ملء اليدين المتوسطتين من غير قبضهما وهو ربع الصاع، والصاع خمسة أرطال[5]، وقد غير المد عبر الزمن باختلاف المناطق، والمد المعروف في المغرب الأوسط نحو المد القروي أو المغربي[6]، وكان المد عند بن زيان يساوي ستون برشالة.[7]

-**البرشالة**:وكانت تستعمل في كيل الحبوب، وتزن في تلمسان، ثلاثة عشر رطلا، او اثني عشر رطلا ونصفا.[8]

-**الرطل**: معيار يوزن به، وهو مكيال أيضا[9]، ويقدر باثني عشر أوقية بأواقي العرب، وقد البكري في القرن الخامس الهجري موافق الحادي عشر الميلادي إثنين وعشرين أوقية، وفي القرن العاشر الهجري (السادس عشر ميلادي) قدره الحسن الوزان بحوالي 340غ.[10]

---

[1]- كمال السيد ابو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي، من خلال توازن المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب:الإسكندرية، (د، ط)، 1996 م، ص:84.

[2]- الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج5، ص:90.

[3]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص:320.

[4]- القصباني التلمساني:كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح:علي شنوفي، (د،ط، ت)ص:84.

[5]- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل: لسان العرب، ج6، دار الصادر:بيروت (د، ط،ت)، (د، د، ن)، ص:142

[6]- كمال السيد ابو مصطفى: المرجع السابق ص: 81.

[7]- مبخوت بودواية:المرجع السابق ص:320.

[8]- يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج2ص:90.

[9]عبد العزيز رشيد:"الحبوب في اسواق المغرب الاوسط"، مجلة العصور الجديدة، ع:11، 12، 2013، 2014، ص:105.

[10]- لطيفة بشارية بن عميرة: العلاقات التجارية، المرجع السابق، ص:194.

-القنطار:ورد ذكره في القران الكريم في قوله تعالى "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب"[1]، وهو معيار وزن الذهب أو الفضة وهو يختلف وزنه من مكان لآخر.[2]

-الويبة:كانت مستعملة في جميع أنحاء بلاد المغرب، تستعمل لكيل الحبوب والدقيق، وهي أربعة وستون مدا بمد النبي "صلى الله عليه وسلم"[3]، وهناك نصف الويبة وربعها [4].

2-الموازين:من أهم الموازين التي استخدمت في المغرب الأوسط، وهي تختلف من منطقة إلى أخرى.

-المثقال:يعد اقدم وحدة للوزن عند العرب منذ عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان، تخذ المثقال وحدة الوزن الذهب والمثقال يساوي أربعة وعشرون قيراطا، ويتكون المثقال من وزن 72حبة شعير متوسطة الحجم[5].

-الدرهم:كان وزن الدرهم الشرعي يزن عشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب أي سبعة أعشار 10/7 الدينار، أي يساوي الدرهم خمسون حبة وخمس حبة شعير[6]، وإن الوزن الدرهم في تلمسان يساوي 1.50غ، وكان يستخدم للتعامل بالأشياء البسيطة والحقيقية كالفضة[7].

-الأوقية:وهي تزن سبعة مثاقيل أي حوالي 29.75غراما أي 4.25غرام (وزن المثقال الواحد (29.75=7).[8]

-القيراط:أصله قراط، ويقدر بنصف دانق قيمته نصف عشر الدينار(5)في أكثر البلاد الإسلامية، أو نصف الدرهم، ويزن 0.75غ، ويتكون من خمس حبات شعير.[9]

---

[1]- سورة ال عمران، الاية:-14.

[2]- ابن منظور:لسان العرب، المصدر السابق، ج6، ص:431.

[3]- عبد العزيزرشيد:المرجع السابق،ص:154

[4]- الونشريسي: المصدر السابق، ح6نص:222.

[5]- القلقشندي: المصدر السابق، ص:263.

[6]- ابن خلدون:المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص:263.

[7]- بسام عبد الرزاق شقدان:المرجع السابق ، ص:218.

[8]- لطيفة بشاري بن عميرة: العلاقات التجارية، المرجع السابق، ص:192.

[9]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص:319.

-**الحبة**:كانت الحبة تمثل 1/60 من الوزن المستعمل أي عشر دانق وهي وزن حبة القمح أو الشعير متوسط الحجم[1]، وتختلف الحبة حسب وحدة الوزن المستعملة، فهناك وزن حبة الفضة، وحيث وزن الذهب، وحبة وزن المثقال وحبة وزن الدرهم.[2]

3-المقاييس:كانت المساحات في المغرب الأوسط تقاس بالوحدات التالية:

1-العرصة:وطول ضلعها خمسة وعشرون ذراعا.

2-المرجع:وطول ضلعها خمسون ذراعا.

3-السنج:ويقدر بمائة مرجع أو يقدر تقريباحد عشر هكتارا[3].وللأطوال استخدم الزيانيون، الذراع خاصة طولها 48.73سم، وضعها السلطان ابو تاشفين عبد الرحمن الأول بالقيصرية 728ه/1328م،لتكون مقاسا عاما جميع التجار.[4]

ب/السودان الغربي:

1-المكاييل:كانت المكاييل ببلاد السودان الغربي كالأتي:

-**القنطار**:لقد جاء حسب دائرة المعارف الإسلامية ب100رطل.[5]

-**المد**:يختلف المد المستعمل في االكيل التجاري من مكان إلى آخر، وفي بلاد السودان كان يساوي أربعة الواحبجمع اليدين وقدر حوالي 1.75لتر، وهذا يعادل الحجم الرسمي لمد النبوي.[6]

-**الصاع**:وهو يساوي أربعة أضعاف المد اي ما يعادل ثلاثة لترات تقريبا[7]

-**المودي**:وهو مقدار حبوب توضع في كيس من الجلد يحمله الرجل او العبد في القالب.[8]

2-الموازين:اهم الموازين المتعارف عليها هي:

-**المثقال**:كان يعادل وزن70من حبات القمح المتوسطة الحجم.

-**الدرهم**:وهو يساوي 4اعشار الدينار وهو يساوي 40 درهما.

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص:322.

[2]- مبخوت بوداية: المرجع السابق، ص:320.

[3]- مبخوت بوداية: المرجع نفسه ، ص:321.

[4]- عبد الرزاق شقران: المرجع السابق، ص:219.

[5]- مبخوت بوداوية: المرجع السابق، ص:318.

[6]- لطيفة بشاري بن عمرة:لعلاقات التجارية، المرجع السابق، ص:318.

[7]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص:318.

[8]- عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص:199.

-**الأوقية**:وهي تساوي حوالي 25.5غ تقريبا.[1]

3 -المقاييس:كانت المقاييس التي تعارف عليها سكان بلاد السودان الغربي ومملكة سنغاي لاتي:

-**الشبر**:ويساوي الامتداد مابين الخنصر والابهام ويساوي تقريبا 23سم.[2]

-**الذراع**:وهو الامتداد مابين عقدة المرفق ونهاية الوسطى ويساوي حوالي 50 سم تقريبا.[3]

-**الميل**:وهو يستعمل لقياس بصورة خاصة وقد قدر ب 1920 مترا بالتقريب.

-**الفرسخ**:كانت الفرسخ تقاس بيه المسافات الطويلة وكانت تساوي ثلاثة أميال أي 1920*3=5760متر.[4]

وفي الأخير يمكن القول إن الحركة التجارية بين المغرب الأوسط (الدولة الزيانية)والسودان الغربي كان لها دورا بارزا في جلب البضائع والسلع للأسواق المغرب الأوسط ومنها:الذهب والعبيد وبيض النعام وريشه،فكانت للشركات التي أقامتها العائلات التلمسانية (المقري، المرازقة والعقبان، دوارا هاما في ذلك، وفي المقابل كانت للدولة الزيانية تصدر بأسواق السودان الغربي المواد الفلاحية والصناعية والمنسوجات الصوفية والحديدية والقطنية، فكان التعامل بينهما قائم على أساس المقايضة، أو(التجارة الصامتة)في بادئ الأمر، ثم تطورت بعد ذلك معاملات أخرى، كالذهب والفضة وحتى ملح وغيرها.

كما نجد أن بلاد السودان الغربي قد تأثرت تلك المعاملات من خلال المكاييل والموازين والمقاييس التي كانت موجودة بالمغرب الأوسط (الدولة الزيانية) فنقلوها إلى أسواقهم وإعتمدوا عليها في تجارتهم.

[1]- يحي بوعزيز: تاريخ افريقيا الغربيةالاسلامية، المرجع السابق، ص:187

[2]- لحسن الوزان: المصدر السابقنص:19.

[3]- يحي بوعزيز:تاريخ إفريقيا الغربة الإسلامية، المرجع السابق، ص:187.

[4]- يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص:187

الفصل الثالث

الصلات الثقافية بين الدولة الزيانية وبلاد السودان الغربي

المبحث الأول: الحياة الثقافية في بلاد السودان الغربي.

المبحث الثاني: الروابط الثقافية بين الإقليمين.

المبحث الأول:الحياة الثقافية في السودان الغربي

إلى جانب النشاط التجاري الذي عرفته مدن المغرب الأوسط (الدولة الزيانية)مع ممالك السودان الغربي، إزدهرت معه حركة الفكرية والعلمية لاسيما بعد دخول الإسلام واللغة العربية إلى المنطقة[1]، بالإضافة إلى دور الكبير الذي لعبه سلاطين السودان الغربي في الجانب الثقافي، إذ قام السلطان المالي "موسى"[2]بإرسال بعثات ثقافية من الطلبة إلى المغرب الإسلامي لمتابعة دراستهم، وقد اشترى هذا السلطان أثناء حجه كثيرا من الكتب من القاهرة ومكة.[3]

وكان أسقيا محمد الذي حكم صنغاي 1493-1528م، محبا للعلم والعلماء فقد إستقدم العديد من العلماء من المغرب والمشرق الإسلاميين، منهم الشريف أحمد الصقلي وكاتبه على بن عبد الله، وفي عهد الأسقيين اشتهرت المراكز العلمية والثقافية في السودان الغربي، وتوافد عليها العديد من العلماء والطلاب العلم من كل جهة[4]، حيث تأسست فيها المساجد، والمدارس وإنتشرت فيها الزوايا.[5]

أ-.المؤسسات الثقافية:

أ-المساجد:أدى دخول الإسلام لبلاد السودان الغربي إلى إنتشار المساجد، لأداء الصلوات والتدريس اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم[6]، فقد اشتهرت بعض المدن الإفريقية بمساجدها ومدارسها لكونها مركزا تشع منها الثقافة العربية الإسلامية، فكانت مقرا للدعوة الإسلامية وفي مقدمتها مدينة تنبكتو وجنى وغاو وغيرها.[7]

وكانت المؤسسات الثقافية والتعليمية، تعرف بمنارات العلم والعبادة، منها:المساجد، فيذكر الحسن الوزان في كتابه"ولهم مساجد كثيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود

---

[1]- طاهر بحدة:"العلاقات التجارية بين حواضر المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي"، مجلة الثقافة الإسلامية(محكمة)، ع: 12 ، دار حكمة، الجزائر، (د، ط)، 1435ه2014 م، ص..38.

[2]-**موسى**:السلطان منسى موسى سلطان مملكة مالي الإسلامية، تولى أمر البلاد بعد مقتل ساكورة، إختلف المؤرخون في إسمه، هناك من يسميه موسى ابن سالم التكروري ، وهناك من يطلق عليه موسى بن أبي بكر بن أبي الأسود، و الإسم الذي اشتهر به هو منسى موسى ، قام برحلة الحج عام 724ه، وقد توفي سنة738ه ينظر:عبد الرحمن ابن خلدون:العبر، ج6، ص:200.

[3]-مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص: 188.

[4]-أبوبكر ميقاء: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من400 ه-الى1100 ه في عهد الممالك الإسلامية، ص:38.

[5]-طاهرة بحدة:المرجع السابق، ص:32.

[6]-طاهر بخدة:المرجع نفسه، ص:45.

[7]-محمد فاضل علي باري وآخرون:المرجع السابق، ص:103.

المدارس"،[1] وقد بدأت عملية بناء المساجد في السودان الغربي مع إنتشار الإسلام، ومن أشهر المساجد التي عرف بها هي:

1-مسجد الجامع الكبير بتنبكتو (جنقربير):يعتبر هذا المسجد الجامع من أقدم وأكبر مساجد تنبكتو و كان ذا موقع ممتاز يتوسط المدينة، ويسمى أيضا بلغة صنغاي مسجد" دجنغاربير " Djingareyder"[2]، تم بناؤه من قبل سلطان مالي مسنى موسى عقب عودته من الحج، أوائل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي (8ه-14م)،

وقد كلف بهذه المهمة المهندس إبراهيم الساحلي[3]، وعبد الله الكومي الغدامسي الذين حضروا معه من رحلته المشرقية[4]، ببناءه على الطراز المغربي الإسلامي، وقد ألحق بهذا المسجد من الجهة اليمين قبورهم، وهي عادة عند أهالي إفريقيا فيما وراء الصحراء فهم يدفنون موتاهم في رحاب مساجدهم[5]، ومن الأئمة الذين تعاقبوا على إمامة الجامع مثل: الإمام عثمان بن الحسن التشيتي ومحمد كداد بن أبي بكر الفلاني زمن القاضي العاقب، الذي إستمرت إمامته إلى أن توفي عام 989ه/1581م ثم خلفه الإمام أبو العباس أحمد بن الصديق بتكليف من القاضي العاقب أقيت، وقد إستمر فيها ستة عشر عاما ونصف، وهو آخر أئمة الجامع في عهد الأسيقيين والآخر في عهد السيطرة المغربية السعدية على الإقليم[6].

2-جامع سنكوري: (sankore)أو سكنري بتنبكتو:

كان هذا الجامع يتصدر منارات العلم والعبادة، ولا يعرف بالضبط تاريخ بناء هذا المسجد، فيذكر عبد الرحمن السعدي في مؤلفه: "أن مؤسسة جامع سنكوري هي فاطمة بنت أحمد الأغلالي وهي سيدة تقية صاحبة خير وسعة"[7]، أما محمود كعت، فيذر أن الفقيه القاضي العاقب[8]، شرع في

---

[1] - الحسن الوزان:المصدر السابق، ج ص:164.

[2] - محمد فاضل علي باري وآخرون:لمرجع السابق، ص:103.

[3] - **إبراهيم الساحلي**:هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي، المشهورة بالطويجن، وهو من أهالي غرناطة بالأندلس، كان شاعرا ومعماريا. ينظر: عبد الرحمن السعدي:المصدر السابق، ص:08.

[4] -أحمد مطير سعد غيث:المرجع السابق، ص:191.

[5] - محمود كعت:تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، تح:هوداس، باريس، (د، ط) 1981م، ص ص:34-40.

[6] -أحمد مطير سعد غيث:المرجع السابق، ص:193.

[7] -عبد الرحمن السعدي:المرجع السابق، ص:63.

[8] -**القاضي العاقب**:وهو العاقب بن محمود عمر بن أقيت قاضي تنبكتو الإمام الفقيه الفاصل العامل القاضي العادل، كان صاحب كرمات كثيرة رحل إلى المشرق(ولد سنة 913ه وتوفي991 ه)ينظر:مبخوت بودواية:المرجع السابق ، ص:192.

بناء المسجد سنكودي عام(986ه/1578م)بعد عودته من الحج حيث أخذ هناك طول وعرض الكعبة بواسطة حبل وجاءبه تنبكتو، وبنى المسجد على تلك المقاييس، وقد بلغ هذا الجامع أوج إزدهار في عهد إمبرطورية صنغاي زمن الأسقيا الحاج محمد الكبير، إرتفع شأنه بما بلغه من مستوى علمي راق، وأضفى على مدينة تنبكتو طابعا مميزا حيث جعلها عاصة من عواصم الدين والعلم والأدب في مناطق السودان الغربي.[1]

وأول من تولى إمامه جامع سنكوري، الفقيه محمودبن عمر أقيت، ذلك فيما بين (904ه/1498م)/(955ه/1542م)ثم تولى بعد الفقيه عبد الرحمن وظل بها حتى عام 1002ه/1593م، ثم آل منصب الإمامة للفقيه عبد الرحمن السعدي صاحب كتاب تاريخ السوادن[2].

أما نوع التعليم الذي كان يعطى فيه، فهو من النوع العالي، حيث تدرس المواد فيه على شكل إختصاص تتناول بتفصيلات والسعة مستندة على أمهات الكتب التي عرفت لدى المسلمين حتى ذلك الوقت، منه تخرج كثير من علماء السودان الغربي الذين كان لهم دور في نشر العلوم والمعارف التي سادت العالم الإسلامي في القرون الوسطى"[3].

3-جامع سيدي يحي التادلسي (sidiyahya): يعد هذا المسجد أقدم المساجد في تنبكتو، حيث أسس على يد أول دولة الطوارق حكمة تنبكتو، حوالي القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد (5ه/11م)[4] ويقال أن هذا المسجد شيد على ضريح رجل من العلماء الصالحين يقال أنه قدم من المغرب الأقصى يدعى سيدي يحى، ويبدو أن تشيد هذا المسجد في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر ميلادي (9ه/15م)[5]، وأول إمام عين يدعى الشيخ سيدي يحي تبركا بالوالي الصالح سيدي يحي، وإستمر في الإمامة إلى أن توفي عام(868ه/1463م)ولقد رمم المسجد سنة(976ه/1568م) من قبل القاضي العاقب بن محمود أقيت، ومن بين الأئمة الذين تعاقبوا على الإمامة هم:الإمام محمد بن محمود بغيغ، الإمام محمد بن محمود الونكري(ت

[1] - مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:193.

[2] - أحمد مطير سعد عيث:المرجع السابق، ص:196.

[3] - محمد فاضل علي باري وآخرون:المرجع السابق، ص ص:105، 106.

[4] - أحمد مطير سعد غيث:المرجع السابق، ص ص:196، 197.

[5] -مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:195.

1018ه/1608م)ثم الإمام أحمد بن سعيد (ت:1040ه/1630م)أما آخر الأ ئمة الجامع، هم الإمام إبراهيم إبن عبد الله التواتي(ت:1140ه/1727م)[1].

4-مسجد التواتيين:

تم بناؤه من قبل محمد على التواتي الذي قدم من مدينة توات سنة 920ه/1514م، مع جماعة من التواتيين، والأمر الذي دفعهم إلى بناء هذا المسجد لأداء الصلاة، راجع إلى الخلافات التي حدثت بينهم وبين بعض علماء تنبكتو، فإتخذت الجماعة التواتية هذا المسجد للعبادة والتدريس، فقد قام فقهاء توات بنقل ما عندهم من علوم ومعارف إلى مناطق السودان الغربي عن طريق التدريس والإمامة، والوعظ والإرشاد بالمساجد وتولى مهمة التدريس بهذا المسجد عدد من الأئمة من بينهم الفقيه محمود بن محمد الزغرابي التنبكتي[2].

5-مسجد أسقيا الحاج محمد:

لقد أسس هذا المسجد الأسقيا الحاج محمد وهو من أكبر المساجد بالمدينة ويتميز بصومعة الطويلة وقد إعتنى به الأسقيا الحاج محمد فجعله مؤسسة تعليمية بالإضافة إلى دور العبادة وهو مبني بالطين مسقوف بالخشب، ويختلف في طرازه المعماري عن مساجد تنبكتو وجنى، فالمئذنة مفصولة عن المسجد ومكان الصلاة عبارة عن مكان طويل"[3].

6-مسجد أسقيا الحاج محمد باقدز:

بنى أسقيا الحاج محمد هذا المسجد، وهو في طريق عودته لما مر بمدينة أقدر [4]، وأمر بتشيد مسجدها، نظرا لأن المساجد البلدة لا تكفي للمصلين والمتعلمين.[5]

7-مسجد محمد الفزاني:

بنى هذا المسجد من قبل التاجر الليبي محمد الفزاني، في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي (10ه-16م)وكانت وظيفة العلم والعبادة، حيث يختلف عن مساجد سابقيه، فقد إنفرد

[1] - أحمد مطير سعد غيث:المرجع السابق، ص:197، 198.

[2] - مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:196.

[3] - مبخوت بودواية:المرجع نفسه، ص:197.

[4] - **مدينة أقدز (اكدز)** :تقع غرب إقليم جوبر بتخوم البلاد الليبية ،مضى على بناءها سنة وهي اقرب مدن السودان من المناطق الافريقية،بنيت منازل المدينة الهندسية العربية.ينظر:مارمول كربخ:المصدر السابق، ج3، ص ص:206، 207.

[5] - مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:197.

هذا المسجد شكله الهندسي الداخلي ومن الأئمة الذين إشتغلوا به وأشرفوا عليه الشيخ عثمان بن أبي بكر الحضيري والفزاني في عام 1009ه/1600م[1].

8-مسجد محمد بن عبد الكريم المغلي:

لقد شيد العالم المغيلي بمدينة أقدز مسجدا صغير الحجم عندما إستوطن المدينة كان هو نفسه يدرس به، بالإضافة إلى مساجد أخرى تم تشييدها من قبل الأسقيا داود في عدد المقاطعات وأطلق عليها اسم لبنة وأمر بأن تلحق بالمسجد محارب تكسى برداء أحمر وسجاد يوضع على المنير وعصي من شجرة شاع على قدر قوس طولا يمسك بها الإمام عند صلاة الجمعة، ويلاحظ أن جزءا من هذه المساجد قدمها أسقيا محمد وأولاده إلى أشخاص تابعين له ولذلك حملت أسماءهم ومن بين المساجد:مسجد في بوبو، ومسجد الملك الوتر، ومسجد الحاج قطب أسدارقوا ومسجد وهاب، ومسجد طرندك ومسجد حلصو ومسجد بور ومسجد عون ومسجد فرنك، مسجد طو، مسجد سند، مسجد دار السلام سداددكو، مسجد قطب الخ.[2].

9-مسجد جنى:

اشتهرت مدينة جنى كغيرها من مدن السودان الغربي، بمسجدها الذي بني على يد أحد المصممين المغاربة يدعى معلوم إدريس، وقد أصبح هذا المسجد مركزا لامعا للتعلم أو تعليم الفقهاء، وكانت مدينة جنى مدينة جامعية لكونها مهد القاضي محمود بن أبي بكر باغايوغو والد العالمين الجليلين محمد وأحمد اللذين كان لهما الفضل في ترسيخ الثقافة العربة الإسلامية.[3]

10- مسجد غاو: كان المسجد الجامع بها بمثابة مركز للتعليم وقد كان العرب المسلمون يشرفون عليه ويذكر لنا الرحالة ابن بطوطة في كتابه"أن بعض العرب المسلمين هم الذي كانوا يشرفون على هذا المسجد ، ويذكر منهم الفقيه محمد الفيلالي الذي كان إماما وفقيها "[4].

ويضيف صاحب تاريخ الفتاش، أن الأسقيا داوود الأول كان أول من أنشأمخازن المسكوكات وأقام المكتبات، فكان له نساخ كثير لنسخ المخطوطات فكثيرا ما كان يهدي منها نسخة للعلماء، مما جعل هذه المكتبات تساهم في خدمة مراكز التعليم[5].

---

[1] - مبخوت بودواية :المرجع السابق، ص:197.

[2] - مبخوت بودواية:المرجع نفسه ، ص ص:197، 198.

[3] - زبادية عبد القادر:مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص:107.

[4] – ابن بطوطة:المصدر السابق، ص:669.

[5] - محمود كعت:المصدر السابق، ص:94.

بالإضافة إلى هذه المساجد الموجودة في هاته المراكز كانت توجد مساجد أخرى صغيرة مثل: في إيولاتن ونفزة ودندي، ولكن المياه الثقافية فيها كانت بصورة مصغرة من الحياة في المدن الكبرى، لم يكن لها دور خاص، إذ تعد تنبكتوا أهم المراكز الحضارية والثقافية بالسودان الغربي حيث إستقطبت العديد من الفقهاء والعلماء وطلبة العلم من كل النواحي[1].

ب-المدارس والكتاتيب:

لاحظ المؤرخون الرحالة نمو الحياة الثقافية بشكل عام بمنطقة السودان الغربي، فقد أشار إبن بطوطة أن السودانيين كانوا يولون أهمية كبرى لتعليم أطفالهم وإرسالهم إلى الكتاتيب وإجتهادهم في ذلك[2]، وقد أحصى خلال القرن السادس عشر في مدينة تنبكتو لوحدها ما يناهز 180 كتابا لتعليم الصغار بالإضافة إلى المساجد والمنازل الخاصة التي تشكل مجتمعات علمية أقيمت بهاحلقات للدرس والمناظرة.[3]

-التعليم ومناهجه:

كان التعليم في بداية أمره بسيطا لدى السودانيين، حيث كانوا يرتادون الكتاتيب لحفظ القرآن وإختلفت تسميتها في السودان الغربي بإختلاف قبائلها وقبائل الولوف[4]، أطلق عليهاإسم (دارا)والمانيج[5] كلسيونها(كارا)وقبائل التكرور يسمونها(ديالي جالنتي)أما الشرسة فيسمون، معلم الكتاتيب القرآنية (ماعالم) وتعني الكلمة معلم[6].

والإلتحاق بالكتاتيب هي المرحلة الأولى من التعلم، فعندما يبلغ الطفل السابعة من العمر أو ما دونها يدفعه والداه إلى معلمي الكتاتيب قصد تعليمه مباديء القراءة والكتابة باللغة العربية وتحفيظه

---

[1]-مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:200.

[2]-ابن بطوطة:المصدر السابق، ص:790.

[3]-مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:201.

[4]-**القبائل الولوف**:عرفوا في الكتابات الأروبية باسم "الولوف" أما في المصادر العربية فيطلق على المنطقة تواجدهم "بلاد الحلف" سكنوا المناطق الممتدة إلى جنوب نهر السنغال وكذا النهضة الممتدة ما بين نهري النيجر والسنغال.ننظر: حسن مونس:أطلس تاريخ الإسلام"المرجع السابق، ص : 373 ، ايضا:عصمت عبد اللطيف دندش:المرجع السابق، ص:45.

[5]- الماندينغ:عرفوا بتسميات أخرى كالماندي والمانينجو والمالينكي وهم عبارة عن مجموع من قبائل السودانية الإفريقية التي تجمعهم روابط لغوية، وحضارة مشتركة وهم يشكلون غالبية سكان الإقليم الواقعة بين روافد العليا لثلاث أنهار رئيسية في الغرب وإنتشروا في جميع أقاليم السودان الغربي الواقعة في جنوب السنغال وأعالي النيجر، وهم العناصر الأساسية لشعوب ودويلات غانة ومالي، وقد تفرعوا إلى عدة قبائل من أهمها البامبارة والمالينكي والغلاوكي والساماكي. ينظر: نعيم قداح:حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع:الجزائر، ط 2(د.ت) ص:12 ينظر أيضا :الفيتوري:المرجع السابق، ص:18.

[6]- الدالي الهادي المبروك:التاريخ الحضارة لإفريقيا وراء الصحراء، بنغازي ليبيا، ط1، 2002م، ص:163.

النصف الأخير من القرآن الكريم، وتربيته على الصلوات الخمسة وبهذه المرحلة يتعلم الصبي القرآن الكريم عن طريق الألواح الخشبية ويستمر في الحفظ تحت مراقبة المعلم إلى أن يختم القرآن الكريم كتابة وحفظا وأثناء هذه المرحلة يكون الطفل قد إستوعب قسطا كبيرا من قواعد اللغة والنجو[1].

وإن المعلم الذي يسهر على تسيير الكتاتيب ورعاية الأطفال يكون في الغالب من الطبقة المتوسطة الثقافة[2]، وكان المعلم بالإتفاق مع أهل القرية أو المدينة يحمل بموجبه من أسر الأطفال على مبلغ مالي كل أسبوع[3]، فضلا عن الهدايا التي يأخذها بمناسة ختم الأطفال القرآن الكريم[4]، وقد أورد محمود كعت أن عدد مدارس الصبيان تراوح عدد في مابين مائة وخمسين(150)، ومائة وثمانيين(180)كتابا، وقد أفاد أنه حضر إلى كتاب معلم إسمه علي تكرية، بعد ظهر يوم الأربعاء ورأى الصبيان يأتون ألف وسبعمائة وخسة وعشرين ودعة حسب مقام أسرهم وهي حق المعلم أو أجرته، وقد حصل المعلم يومها على (1725)ودعة، وكان عدد ألواح الطلاب مائة وثلاثة وعشرون لوحا(123)[5].

أما المرحلة الثانية من التعليم، فلم يكن الإلتحاق بها محددا بعمر معين بل كانت الفرصة متاحة لجميع الذين أكملوا تعليمهم الأول بنجاح بحفظهم نصف القرآن أو كله، وكانت هذه المرحلة التعليمية تمتاز بأن الكتب التي تدرس فيها هي الكتب البسيطة وكان يتولى تدريسها غالبا من يسمون بالأشياخ[6]، ويبدوا أنهم كانوا أنذاك متوسطي الثقافة بالنسبة للأساتذة وكان الطالب في هذه المرحلة يدرس اللغة والمباديء الأولى في العلوم الشرعية والمنطق والحساب والتفسير والفقه والحديث الفكر الإسلامي والأخلاق الإسلامية[7].

ج–المعاهد العليا:

وهي مرحلة متقدمة في السلم التعليمي والتي تستغرق مدتها عشر سنوات كاملة، تترتب على الحالة المادية للطالب ولهذا كان الطلبة المتمكنين ماديا وحدهم الذين يلتحقون بالمعاهد

[1]–أحمد شكري:الإسلام والمجتمع السودان، المرجع السابق، ص:212. ينظر أيضا:محمد الغربي:المرجع السابق، ص ص:549، 550.

[2]– أحمد شكري:المرجع السابق، ص:212.

[3]– كانت تلك الرسوم، تدعى حق الأربعاء، ينظر: محمد الغربي:المرجع السابق، ص:550.

[4]– مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:202.

[5]– محمود كعت:المصدر السابق، ص:180. وينظر أيضا:محمد الغربي:المرجع السابق، ص:550

[6]– الدالي الهادي المبروك:تاريخ الحضاري فيما وراد الصحراء، المرجع السابق، ص:165.

[7]– محمد فاضل علي باري وآخرون:المرجع السابق، ص ص:105، 106.

العليا(الجامعات)لمواصلة تكوينهم العالي[1]، حيث يتم التدريس في هذه المرحلة على يد أساتذة مرموقين في حقل التعليم الإسلامي، ويصبح المنهاج هنا أكثر تخصصا وتعمقا في البحث[2]، وقد كان الطالب يختار ما يناسبه من الشيوخ، فكانت بعض حلقات التدريس تكتظ بالمتعلمين بينما لا يحضر بعضها سوى نفر قليل، ومن شروط الأستاذ الناجح العلم الغزير وحسن توضيح وإبتعاد عن التكرار وعدم الحرص المبالغ فيه على تحقيق النقل وإيراد الأسانيد ووضوح الصوت والمواضبة على الدروس[3].

وكانت طريقة التدريس تتم عن طريق طرح الأستاذ على الطلاب مسائل تتعلق بشتى المواضيع وعلى كل طالب أن يقدم حلولا لها مدافعا عنها بالحجج والبراهين وذلك أمام عدد من الأساتذة والطلاب الذين يمطرونه بوابل من الأسئلة الصعبة والحرجة[4]، أما بعض المدرسين فكانوا يطلبون من طلابهم تسجيل النقاط الجديدة والأفكار، فيثبتون ذلك في هوامش الكتاب أو دفتر خاص، وكان كل أستاذ يدرس أكثر من مادة واحدة[5]، إلى جانب كان معظم الطلاب في هذه المرحلة يتتلمذون على يد شيخ يدربهم على تزكية النفس ليكونوا نموذجا إسلاميا صالحا للأجيال القادمة[6].

أما التخرج فكان يتم بعد التأكد من تفوق الطالب في المعرفة والأخلاق الأسلامية، فيعطى بعد ها عمامة مزينة بالعقد والدوائر التي ترمز إلى أسماء الله الحسنى، أما العمامة فكانت تمثل الخط الفاصل بين العلم والجهل وترمز إلى الحكمة والمعرفة والخلق الحسن[7].

ومن أشهرها مسجد سكوري الذي كان بمثابة جامعة في السودان الغربي ثم يأتي بعده جامع سيدي يحي[8].

[1]- مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:204.
[2]- محمد فاضل علي باري وآخرون:الرجع السابق، ص:106.
[3]- محمد الغربي:المرجع السابق، ص:553.
[4]- محمد فاضل علي باري وآخرون:المرجع السابق، ص:106.
[5]- محمد الغربي:المرجع السابق، ص:553.
[6]- محمد فاضل علي باري وآخرون:المرجع السابق، ص:106.
[7]- محمد فاضل علي باري وآخرون:المرجع السابق، ص 106.
[8]- محمد الغربي:المرجع السابق، ص:553.

أما عن العلوم التي كانت تدرس منها:العلوم الثقلية من العلوم الشرعية وما يتصل بها من العلوم اللغوية والأدبية وعلوم عقلية من علم الكلام والمنطق والفلك[1].

ج-العلوم المتداولة بها:

ومن بين العلوم التي كانت تدرس في السودان الغربي، العلوم النقلية من علوم شرعية وما يتصل بها من علوم لغوية وأدبية وعلوم عقلية من علك الكلام والمنطق والفلك.

1-العلوم النقلية:

ظلت علوم الشرعية وعلوم اللغة مادتين أساسيتين في الحركة الفكرية بالسودان الغربي[2]، وأهم هذه العلوم الشرعية تلك المعتمدة على النص كعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه.

-الفقه:

عرفت المدارس وأماكن العبادة في هذه الفترة من تاريخ بلاد السودان الغربي، انتشار كتب الفقه المالكي[3]، بالدرجة الأولى، والتي كانت معروفة بالمغرب الإسلامي وباقي العالم الإسلامي وهي مختصر خليل[4]، وجامع المعيار، وتحفة الحكام، ومختصر الفروع المدونة والرسالة وكتاب الموطأ للإمام مالك[5].

وقد ذكر أحمد بابا التنكتي أنه درس على يد أحد أساتذة بغيغ قائلا، "...قرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي إبن الحاجب قراءة حب وتحقيق وتحرير ختمتها عليه، أما خليل فمرات عديدة وحضرته كثيرا في الملتقى والمدونة بشرح المحلي ثلاثا وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسي كاملا وكثيرا من تحفة الحكام لإبن عاصم في الإحكام مع شرح ولديه عليها[6].

---

[1]- مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص206.

[2]- محمد الغربي:المرجع السابق، ص:582.

[3]- **الفقه المالكي**:نسبة إلى مالك ابن أنس بن أبي عامر بن عمر بن الحارث الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، وإمام دار الهجرة واحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد سنة 93ه المدينة المنورة، له في الحفظ والتثبيت وتعظيم حديث الرسول الكريم، وإليه تنسب المالكية، له كتاب الموطأ، توفي بالمدينة سنة179 ه ودفن بالبقيع.ينظر:أبو العباس بن قنفذ القسنطيني:الوفيات، تح:عادل نويهض، مؤسسة نويهضة الثقافية، بيروت، (د، ت) ، (د، ط)، ص ص:141، 142.

[4]- **مختصر خليل**:نسبة إلى خليل بن إسحاق بن موسى فقيه مالكي من مصر، ولد وتعلم في القاهرة، وله الإفتاء على مذهب مالك، وله المختصر الفقه يعرف باسمه الذي شرحه كثيرون.ينظر :خير الدين الزركلي:الأعلام، مرجع السابق، ج2، ص:315.

[5]- الدالي الهادي مبروك: التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص:182.

[6]- أحمد بابا التبنكي:نيل الإبتهاج يتطريز الديباج، اش وتق:عبد الحميد عبد الله المرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ج1، (د، ت)، ص:126.

-علوم اللغة والأدب:

ومن بين العلوم النقلية التي كانت تدرس في المدارس والجامعات بالسودان الغربي، علوم اللغة والأدب من نحو وبلاغة، ومن الكتب التي كانت تدرس نجد تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لإبن مالك، وشرح الكافية الشافية، في علوم النحو وشرحا عن لامية الأفعال، وكتاب الأصول لإبن السراج والخزرجية وتلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة، وقد برز علماء أجلاء في هذا الفن من أبناءالسودان الغربي، و من بينهم أحمد بن عمر بن محمد أقيت، وأبو عبد الله أحمد بابا بن الأمين المختار التنبكتي(1014ه/1595م)، والذي إشتهر مؤلفه"المنح الحميدة في شرح الفريدة"، وهو شرح لألفية السيوطي[1]في النحو[2].

ومن مؤلفاته العديد من التصانيف التي إنتشرت في جميع بقاع العالم وذلك في حياته، وبلغت مؤلفاته نحو أربعمائة من مؤلف (400)، ولقد وقعت بينه وبين عبد الكريم المغلي مكاتبة حول المنطق، ولما دخل الأسقيا الحاج محمد مصر قاصدا الحج، إجتمع معه ولازمه وسأله عن أشياء في الأحاديث المثفقة في فضل السلطنة، ذكر في "أوله أنه جعلني تحفة المسلمين المالكين، الصالح العادل المجاهد المرابط القائم بالحق، الناطق بالصدق... ثم جاءه جمال عظيم من الذهب فأبى و إعتذر بأنه لم يثبت في ملكه قط ثلاثة مثاقيل ثلث مثقال... وأخبر جلال الدين السيوطي السلطان أنه مقتول في وقت الفلاني"[3].

ونستشف من هذا مدى إهتمام علماء السودان الغربي بتعلم العلم بما فيه علم النحو والتبحر فيه، بالإضافة إلى حرص السلاطين (السودان الغربي)كالأسقيا محمد والأسقيا داود ومن قبلهم منسى موسى، كما إلتقى محمد الأسقيا بجلال الدين السيوطي بمصر وهو في طريقه إلى الحج، وإتصاله بعبد الكريم المغيلي التلمساني والعمل بنصائحه النقية.

أما فيما يخص الأدب من تراجم وتاريخ وشعر، نجد إن علماء السودان الغربي أولوا إهتماما كبيرا بهذا الفن وألفوا فيه العديد من الكتب من بينها:

---

[1]- **السيوطي**:هو أبو بكر بن محمد بن أبي بكر عثمان الخضيري السيوطي، ولد بأسيوط سنة804 ه -1451م وهو فاضل مصري له دراية بعلم اللغة وفقه الشافعية ، وتوفي بالقاهرة سنة 855ه -1451ه ينظر:الزركلي:الأعلام، المرجع السابق، ج2، ص:69.

[2]- مبخوت بودواية:المرجع السايق، ص:207.

[3]- الدالي الهادي مبروك:التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص:191.

نيل الإبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، الذي ترجم منه لثمانية مائة وإثنين (802) عالم من علماء المذهب المالكي، التي أكمله في عام (1005ه، 1596 م) [1]وكفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج وهو مختصر لنيل الإبتهاج، الذي ترجم فيه تسعمائة ترجمة العلماء ما المالكيين مشارقةومغاربة وأندلسيين، وسودانيين ألفه في مراكش عام(1012 ه- 1603 م).

أما كتب التاريخ أيضا نجد:الدرر الحسان في أخبار الملوك السودان لصاحبه بابا كور بن الحاج بن محمد بن حاج الأمين، بالإضافة إلى "تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان"صاحبه مجهول، وكتاب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع تكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد عن الأحرار "صاحبه محمود كعت[2].

أما الشعر فقد عرف نوعي:المدح والرثاء.

أ-المدح:نجد من بين شعراء السودان الغربي نجد:الشاعر الشيخ المختار بن القاضي أندغ محمد، الذي لديه عدة قصائد من بينها قصيدة يمد فيها السوقيين عدد أبياتها أربعة وأربعون بيتا.

جزى الله أهل السوق عنا بخيره فما حسدوا فضلا وما نطقوا جهدا.

فإنهم ذاقوا عسيلة علمهم فاوارثهم فضلا وأعقبهم دخرا.

يضمون علما الغير عفوا لعلمهم ففازوا بقصب السبق وإستحدثوا فخرا.

بالإضافة إلى الفقيه الشاعر المختار إيداه، الذي له عدة قصائد في المدح أن يمدح أحمد بابا التنبكتي في الأبيات التالية:

حسبي من آل الشيخ بابا أحمد الطيب المحبب المحمد

الفاضل المبارك المود الطاهر الحلاحل الزبد الجد

ب-**الرثاء:**ومن بين الشعراء فيه، الشيخ سيدي يحي التادلي يرثي فها الفقيه محمود بن محمد الكابري، جاء فيها:

[1]- أحمد مطير سعد غيث:المرجع السابق، ص:294.

[2]- الدالي الهادي المبروك:التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص:197.

تذكر في التذكار جـــل الفوائـــد وفي طيـــه ورد على خيـــر وارد

ألم ترى سفر الحب بالفضل خصصوا وسفر دوي كالأفكار أخطى بزائد

تفيء لب المرء طيبـــــه الصبـــا فليحـــق فتيانا ويقوى لساعـــد[1].

2-العلوم العقلية:

من أبرز العلوم العقلية إنتشارا وتدريسا في السودان الغربي، علم الكلام والمنطق والفلك، ومن أهم كتبه الصغرى السنوسي والجزيرية، ويذكر أحمد بابا التنبكتي في نيل الإبتهاج:"...وحـــضرت عليه... صغرى السنوسي مع شرح الجزيرية، وحضرت عليه الكبرى وشرحها".[2]

-علم المنطق:

كان لعبد كريم المغيلي دور كبير في هذا العلم، كان من علماء المغرب الإسلامي الذين تأثروا بالمنطق، فكان يرى أنه بواسطة المنطق يتمكن الفرد من الوصول إلى اليقين، ويرى أنه لا ســعادة لأحد بدون المنطق لأنه يمهد الطريق والسبيل أمام معرفنا حتى ترقى من الجزئـــي المحـــسوس، إلى الحقيقة العقلية المجردة[3].

وقد إهتم المغيلي بعلم المنطق لأنه كان يرى أن الشرع أوجب النظر بالعقـــل في الموجـــودات وإعتبارها، كما يذكر إبن رشد في مؤلفه(فصل المقال): وكان الإعتبار ليس شيئا أكثر من إستنباط المجهول من العلوم وإستخراجه منه، وهذا هو القياس، فالواجب ان نجعل نظرنـــا في الموجـــودات بالقياس العقلي وبين ان هذا النحو من الشطر الذي دعا اليه الشرع وحث عليه ،وهو اتم انـــواع القياس وهو المسمى برهانا".[4]

ومن مؤلفات المغيلي في هذا المجال"منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب، الذي كـــان أكثـــر دراسة في السودان الغربي"[5].

---

[1]- مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص ص:209، 210.

[2]- أحمد بابا التبنكي:المصدر السابق، ص:182.

[3]- دي بور:تاريخ الفلسفة الإسلامية، تر: محمد عبد الهادي أبو زيدة، دار النهضة العربية، بيروت (د، ط) 1988م ، ص:288.

[4]- إبن رشد: فصل المقال تقرير مابين الشريعة والحكمة من الإتصال، تع :أبو عمران الشيخ وجلول البدوي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيـــع ، ص:25.

[5]- أحمد مطير سعد غيث، المرجع السابق ، ص: 270.

- علم الفلك:

لقد إهتم السودانيين بعلم الفلك، ودرسوا كتبه، منها:"الهاشمية في التنجيم"و"مقدمة الشيخ عبد الرحمن التاجوري"وتأليف"المكتوب في الشهور الستة على حساب العجم"لأبي العباس أحمد بن البناء الأزدي، والشيء الملاحظ أن السودايين لو يولوا أهمية كبرى لتلقين طلابهم العلوم الدقيقة(من جبر وحساب، وهندسة...)على غرار جامعات المشرق والمغرب الإسلاميين[1].

د- أهم العلماء بها:

برز في السودان الغربي العديد من العلماء والفقهاء الذين قاموا بأدوار ثقافية هامة، وقد كتب قؤلا العلماء إنتاجهم العلمي باللغة العربية وخلفوا تراثا علميا هائلا في شتى مناحي المعرفة الإنسانية، ولا سيما في المجال العلوم الدينية واللغوية والتاريخية ومن أبرزهم:

1-محمد الكابري (نسبة الى ميناء كابرا تنبكتو):ولد في القرن التاسع هجري(15م)، درس بتنبكتو وأخذ عنه الفقيه عمر بن محمد أقيت، والشيخ الفقيه سيدي يحي عبد الرحيم التادلي، توفي أواخر القرن التاسع الهجري[2].

2-**الشيخ محمود البغدادي**: هو الإمام الشيخ محمود البغدادي قدم إلى بلدة أهير في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، إشتغل بالتدريس أخذ عنه العديد من الشيوخ[3]، وعمل على نشر الطريقة القادرية في المنطقة[4].

3-**الفقيه القاضي الامام كاتب موسى**: هم من أئمة المسجد الجامع الكبير في تنبكتومن العلماء الذين رحلوا إلى المغرب لطلب العلم بأمر من السلطان منسى موسى وبعد إتمام دراسته عاد إلى بلاده، إلى جانب منصب الإمامة كان يشتغل بالتدريس ومنصب القضاء[5]، وهو من العلماء الصالحين الذين أثروا في النمو الحركة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي[6].

---

[1]- مبخوت بودواية :المرجع السابق ص:212.

[2]- محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي:فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني محمد حجي ، دار الشعوب الإسلامي، بيروت ، (د، ط)1981م، ص 97. ينظرأيضا:السعدي:المصدر السابق، ص:47.

[3]- مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:216.

[4]- الدالي الهادي المبروك:التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص:210.

[5]- أحمد شكري:الإسلام المرجع السابق، ص:217.

[6]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص:217.

4 –**محمود كعت**(**827–1002ه/1468–1593م**):ولدا الفقيه محمود بن الحاج المتوكل كعت في منطقة كرما غرب مدينة غاو، وأخذ العلم عن علماء تنبكتو وفقهائها، برع في الأدب والفقه وتقلد منصب القضاء، وعمل كاتب خاص للأسقيا محمد الكبير وبعض خلفائه، كما عاصر الأسقيا داوود، ووصفه بأنه يجل العلماء ويحسن إليهم، كما عاصر بداية الحكم المغربي للمنطقة، وقد خلف أبناءا كان لهم، أدوار جسيمة في نمو الثقافة العربية والإسلامية في بلاد السودان الغربي، ومن آثاره

كتاب التاريخ الفتاش في أخبار الجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظام الأمور وتعرف أنساب العبيد من الأحرار[1].

توفي الفقيه محمود كعت عام (1002 ه/1593م) إذ يقول السعدي في مؤلفه "...وفي ليلة الإثنين أول ليلة من المحرم الحرام الفاتح للعام الثانية بعد ألف قرب طلوع الفجر، توفي القاضي محمود كعت الحاج المتوكل على الله في أركيا وحمل إلى تنبكتو وصلى عليه بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة الثلاثاء ودفن ساعة إذن مجاورة قبل الفقيه أحمد الحاج بن الحاج أحمد رحمهما الله وتفضا ببركاتهم آمين"[2].

5– محمود بن عمر بن محمد أقيت:(**868ه–955ه/1463م–1548م**):

هو فقيه وقاضي، سليل أسرة أقيت صاحبة الشهرة والصيت والمكانة الثقافية والعلمية العالية في بلاد السودان الغربي، منذ القرن التاسه الهجري الخامس عشر الميلادي، درس علوم الأدب والفقه على يد العديد من الأساتذة من بينهم والده الفقيه عمر بن محمد أقيت وخاله المختار النحوي، والفقيه محمد الكابري[3].

مارس مهنة التعليم مدة تقارب نصف القرن، وكانت دروسه تتعلق ببعض العلوم مثل:التوحيد والتفسير والحديث والفقه، بالإضافة إلى مهنة الإمامة والقضاء، عرف بتشدده وصرامته ووقوفه ضد الأحكام الخاطئة حتى لو كانت من الأحكام[4]، توفي الفقيه في سنة(955ه/1548م)،

[1]– أحمد مطير سعد غيث، المرجع السابق، ص 178.

[2]– عبد الرحمن السعدي:المرجع السابق، ص: 11.

[3]– أحمد مطير سعد غيث:المرجع السابق ص:275.

[4]– أحمد مطير سعد غيث :المرجع السابق، ص:276، 277.

وقدعاش أكثر من تسعين عاما (90)، ويذكر أحمد بابا التنيكي:"... وطال عمره فالحق الأبـــاء بالأنباء..."[1].

ومن آثاره العلمية:نجد له كتابه التعليقين على مختصر خليل، الف معجما بلغة الصنغاي، ولكن هذه الاثار العلمية لم يتم العثور عليها[2].

6-محمد بن محمود بغيغ الونكري (930ه-1002ه/1523-1593م)

هو الإمام محمد بن محمودبغيغ، هو نجل الفقية محمود بن أبي بكر بغيغ الونكري قاضي مدينـــة جنى، فهو فقيه محقق فاضل صالح عالم أخذ عن والده وخاله ثم أخذ مع شقيق أحمد عـــن الفقيـــه أحمد بن سعيد لإزماه ثم رحلا إلى الحج مع خالهما وإجتمع مع العديد من الشيوخ الـــذين أخـــذ عنهم مثل:الشيخ أحمد بابا ولازمه أكثر من عشر سنوات من مآثره له تعـــاليق وحواشـــي عـــن المختصر نبه فيهما على ما وقع لشراح خليل وتتبع مافي الشرح الكبير للتتائي من الـــسهو نقـــلا وتقريرا في غاية الأجادة، وله فتاوى كثيرة[3].

وفي الأخير يمكن القول، أن الحركة الثقافية والعلمية بالسودان الغربي، قد تطـــورت بظهـــور عديد من المؤسسات العلمية التي ساهمت في بروز العلماء والفقهاء، الذين قاموا بتدريس العلـــوم الدينية والأدبية والعلمية فيها، حيث كان لهم الفضل في نشر الثقافة العربية الإســـلامية في بـــلاد السودان الغربي.

[1]- أحمد بابا التبنكي:المصدر السابق، ص:607.

[2]- أحمد مطير سعد غيث:المرجع السابق، ص: 278.

[3]- أحمد مطيرسعد غيث:المرجع نفسه، 281.

المبحث الثاني:الروابط الثقافية بين الإقليمين:

كانت تلمسان من أهم حواضر المغرب الإسلامي لاسيما في العهد الزياني، وقد ساهمت في إزدهار الحضارة الإسلامية، حيث كانت قبلة للعلماء وطلاب العلم الذين كان لبعضهم دور كبير في نقل معالم هذه الحضارة في شتى الميادين(الديني-الفكري-العمراني والفني).إلى بلاد السودان الغربي عن طريق القوافل التجارية التي كانت تنطلق من تلمسان الزيانية، ومن أهم علمائها وفقهائها تأثيرا في المنطقة نجد على رأسهم العلامة الفقيه محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني.

1:الإمام المغيلي في بلاد السودان الغربي وأثره الفكري والديني بها:

أ-المولد و النشأة:

يعتبر المغيلي[1] واحد من أهم علماء الزيانيين، وأكثرهم شهرة على الإطلاق ينسب إلى قبيلة مغيلة [2]نواحي تلمسان، لكن لا يعرف تاريخ ولادته بالضبط، وإن كان القليل منها قد ذكر أنه ولد في سنة(831ه/1427م)[3] غير أن وفاته كانت سنة (909ه/1503م) [4]، من عائلة عريقة النسب مشهورة بالعلم والدين.[5]

نشأ المغيلي بتلمسان، حيث تلقى دراسة الأولى بها[4]، فحفظ القرآن في صغره ثم إعتكف على دراسة العلوم المختلفة منها:اللغوية والدينية العقلية والنقلية على يد شيوخ وعلماء أجلاء على رأسهم الشيخ يحي بن يدين وشيخ أحمد عبد الرحمن الثعالبي الذي أخذ عنه علم التصوف[5]، وعندما توسعت مداركه ومعارفه وتزود بما يكفي من العلوم توجه للتدريس كشيخ وأستاذ وتتلمذ على يديه عدد من الطلبة مثل:الفقيه ايد أحمد، والشيخ العاقب الأنصمي وغيرهم، وخلال إشتغاله

---

[1]- **المغيلي**:هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يخلف علي الحسن بن يحي علي بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن قيس بن غالب بن أبي بكر....ويصل نسبه في جهة أبيه إلى حسن المثنى بن الحسن البسط بن رابع الخلفاء الراشدين وصهر الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيدنا علي من مولاتنا فاطمة الزهراء، ينظر:عبد الله الهادي الإدرسي الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصدية للخطر اليهودي لصحراء توات والصقع السوداني ج1، ابتكار للنشر والتوزيع:تلمسان، ط1، 1432ه، 2011م، ص:137، 138.

[2]- **مغيلة**:هي قبيلة بربرية استوطنت تلمسان ووهران والمغرب الأقصى، وهي فرع قبيلة صنهاجة.ينظر:عبد القادر باجي:المرجع السابق، ص:108.

[3]- يحي بوعزيز:أعلام الفكر الثقافي في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي:بيروت، ط1، 1995م ، ص: 143.

[4]-مبروك مقدم:المرجع السابق، ص:27.

[5]-يحي بوعزيز:أعلام الفكر، المرجع السابق، ص:143.

[4]- محمد الفرقاني:رسالة المغيلي إلى سلطان كانو، مجلية عصور، ع:8-9-10-11، الجزائر، (د، ط)، 2006، 2007م، ص:187 .

[5]- ابن مريم :البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مطبعة الثعالبية:الجزائر، (د، ط)، 1908م، ص: 253-256.

بالتدريس في تلمسان لاحظ التعفن السياسي الذي يسود عرش بني زيان والإنحلال الـــذي يعـــم المجتمع الزياني، وتكالب القوى الأوروبية ضد البلاد[1]، وهذا ما دفع المغيلي إلى الرحيل حيث يكون في مقدوره أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويحض على العمل بأحكام الشرع[2]، فتوجه إلى واحات توات ووصلها سنة(1479 م)[3]، عاش شبابه بها يعظ الناس وســـرعان مـــا إكتسب إحترامهم ومحبتهم وذاع صيته بينهم[4]، وبسبب خلافات مع فقهاء وقته قام على يهـــود توات وألزمهم الذل بل قتلهم وهدم كنائسهم لتشدده في الدين[5]، وعلى إثر هذه الحادثـــة توجـــه الإمام المغيلي إلى بلاد السودان الغربي، فنزل ببلاد تكدة وإجتمع بصاحبها، وأقرا أهلها وإنتفعوا به ثم دخل بلاد كانو وإجتمع بالسلطان أبي عبد الله محمد زنفا بن يعقوب، ثم رحل إلى بلاد التكرور فوصل إلى غاو وإجتمع بسلطانها الأسقيا أبي عبد الله الحاج محمد بن أبي بكر ملك صنغاي ســـنة (1502م)[6] وجد أبناء وطنه التواتيين يشكلون نسبة كبيرة من التجار الأجانب والأئمة والفقهاء في تنبكتو وغاو[7].

ويظهر من الجولة العلمية، أن المغيلي كان يقوم بحركة إصلاحية تقوم علـــى النـــصح والإرشـــاد والتعليم، ونجده قد درس في العديد من مساجد المدن التي زارها أو مكث فيها مثل:تكدة وغـــاو وكانو، كما أدخل في السودان الغربي أهم العلوم (علم المنطق)الذي أخذه عنـــه عـــدة علمـــاء، وحظيت منظومة بالشرح والدراسة[8].

ب–دور الإمام المغيلي الإصلاحي والدعوي في بلاد السودان الغربي:

بعد رحلة الإمام المغيلي إلى بلاد السودان الغربي، تمكن من مقابلة ومحاورة عدد مـــن الأمـــراء والملوك في شتى العلوم والمعارف خاصة السلطات عبد الله محمد بن يعقوب حاكم مملكة كـــانو،

[1]– يحي بوعزيز:أعلام الفكر، المرجع السابق، ص:144ص.

[2]– الحاج محمد بن رمضان الشاوش:المرجع السابق، ص:442.

[3]– يحي بوعزيز:أعلام الفكر، المرجع السابق، ص:144.

[4]– مبروك مقدم:المرجع السابق، ص:28.

[5]– العباس بن إبرا هيم السملالي:الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من أعلام، ج5، مر:عبد الوهاب بن منصور، طبعـــة الملكيـــة، الربـــاط، ط2، 1420ه، 1999م، ص:106.

[6]– عبد الله الحمادي الإدريسي:المرجع السابق، ص:126، 127.

[7]– يحي بوعزيز:أعلام الفكر، المرجع السابق، ص:152.

[8]– طاهر نجدة:المرجع السابق، ص:41.

والأمير الحاج محمد أسقيا حاكم مملكة صنغاي كتب لهما رسائل يحثهما فيها على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونجد ذلك من خلال النموذجين الآتيين:

1-حوار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مع السلطان محمد بن يعقوب ومضا أمير مملكة كانو:

دخل الإمام المغيلي إلى السودان الغربي، أولا إلى بلدة أهرا ومنها إلى بلدة تكدة التي مكث فيها لبعض الوقت داعيا ومصلحا، ثم توجه منها إلى بلاد كانو التي دخلها سنة(1502 م)[1] وهناك إتصل بأميرها محمد بن يعقوب ومضا، دارت بينهما محاورات عدة إنتهت بتعيين الإمام المغيلي مستشارا للأمير ثم رئيسا للقضاة والإفتاء بمملكة كانو[2]، وفي الفترة التي قضاها في بلاده، ومن جملة الأسئلة والأجوبة التي دارت بينهما، جمعها الإمام المغيلي في شكل رسالة ووصية حيث جاءت الأولى تحت عنوان "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"أما الوصية الثانية فحملت عنوان"فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام"[3].

جاءت في الرسالة الأولى:"تاج الدين فيما يجب على الملوك، والسلاطين" تنبيه إلى ثقل مسؤولية الإمارة الملقاة على عاتقه بما تتطلبه من عدل وإستقامة وتذكيره بلحظة الجزاء والعقاب التي تنتظر كل نفس مصداقا لقوله تعالى:"كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"[4]، وفي الأخير إختتمها بحكمة مأثورة"راس كل بلية أحتجاب السلطان عن الرعيه".[5]

أما عن الوصية فقد طلب محمد يعقوب ومضا من الإمام يخصصه بالخطاب في مقدمة وصية مشيرا في الوقت نفسه إلى أن خطابه هذا إنما جاء إستجابة وردا عن سؤال توجه به أمير كانو إليه، وطلب بموجبه بعض الجمل المختصرة والنصائح المفيدة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام[6].

---

[1]- مبروك مقدم:مرجع السابق، ص:99، 100.أحمد بابا التبنكي:نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص:331.

[2]- أبو بكر إسماعيل ميغا:الحركة العلمية، المصدر السابق، ص:120.

[3]- زيانية عبد القادر:مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص:31.

[4]- سورة ال عمران..، الاية:185.

[5]- نصر الدين بن داود:إقراءة في رسالة المغيلي الى سلطان كانو"تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"ملتقى دولي بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينة والأوقاف، تلمسان، (د، ط)، 2014م، ص:125.

[6]- يحي عبد العزيز:أعلام الفكر، المرجع السابق، ص:140. ينظرأيضا:أبو بكر إسماعيل:المرجع السابق، ص ص:131، 132.

إن الإمام المغيلي بوصفه مصلحا وداعية إسلامية، قد أعطى في رسالته إلى سلطان كانوا بيانا شافيا وتصورا واضحا للمفاهيم الإسلامية، التي يجب أن يلتزم بها الحاكم والمحكمون من وجود الإستشعار إن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم"فيما يجب عليه في خاصة نفسه، وما يتعلق بترتيب مملكته وحسن إختيار أعوانه وعماله ، وما يضفي عليه وعلى مملكته الهيبة والقوة[1].

كما حرص المغيلي من خلال رده على الوقوف بالسلطان، على حقيقة السلطنه القائمة على رجل العدل والاحسان، لأن رأس كل بلية إحتجاب السلطان عن الرعية ولأن حال الرعية وحال السلطان كفتان وعلى الأمير التصرف في حالة بالزيادة والنقصان حتى يعتدل الميزان[2].

2-حوار الإمام المغيلي مع الأمير الحاج محمد الأسقيا حاكم صنغاي:

بعدما أنهى الإمام المغيلي مهمته الدعوية والإصلاحية في كانو توجه نحو إمبراطورية صنغاي الإسلامية، بدعوى من ملكها الأسقيا الحاج، فوصل عاصمتها غاو سنة 1502 م[3]، حيث إلتقى الأسقيا بالإمام المغيلي ورحب به وإستقبله وهيأ له كل ظروف الراحة ، ولما إستقر به المقام وجه إليه السلطان عدة أسئلة في المشاكل الإجتماعية والدينية والسياسية، التي كانت تواجه السودان الغربي[4]، ليجد لها المغيلي بعض الحلول ويجيب عنها في إطارإسلامي[5].

فأجابه عنها المغيلي بأجوبة شافية وكافية جاءت في سبع (07)مسائل موسعة[6]، أراد من خلالها أن يوضح فيها بفتوى في أمر إقتداء القضاةوالمفكرين والعلماء المزعومين، وهي المصيبة والمعضلة التي حيرت الأمير، وطلب من الإمام المغيلي أن يوضحها له بترتيب الأجوبة على هذه الأسئلة وما تيسر له من النصيحة، وكانت أجوبة المغيلي عن السؤال بكل وعي وروية منبها الأمير بأهمية البطانة من حوله[7].

---

[1]- محمد أحمد كنان ميغا:"البعد السياسي والمقاصدي في أجوبة الإمام المغيلي عن أسئلة بعض سلاطين السودان الغربي"الإمام المغيلي (فقيه السياسةوالحوار الديني)أعمال الملتقي دولي، المنشورات، وزارة الشؤون الدينية والأوقاق، تلمسان(د، ط)، 2011م، ص:29.

[2]- يحي بوعزيز:أعلام الفكر، المرجع السابق، ص:95، 96.

[3]- مبروك مقدم:المرجع السابق، ص:120.ينظر أيضا:محمد بن عبد الكريم:أسئلة الأسقيا، ص:07.

[4]- أبو بكر إسماعيل ميغا:االمصدر السابق، ص:133.

[5]- يحي بوعزيز:أعلام الفكر، المرجع السابق، ص:154.

[6]- محمد عبد الكريم المغيلي:أسئلة الأسقيا، ص ص:21-70.

[7]- محمد عبد الكريم المغيلي:المصدر نفسه، ص:25.

ويجيب الإمام أيضا على هذا السؤال أن الحاكم وجميع أتباعه وأعوانه هم من أظلم الظالمين والفاسقين، أما الحكم بكفرهم فهو واقع وهذا كله على شرطه أن يكون الوصف منقولا عنه وعنهم صحيحا ، منه الأعين ومن معرض رد الإمام على الأمير تتجلى لنا شخصية الإمام المغيلي الغيورة على دينه من جهة ومراعية للأوضاع العباد والبلاد، أخذ بمبدأ قاعدة أخف الضررين فهو وإن أفتى له بالجهاد ونصره لدين الله، إلا أنه ينص إلى قضية جوهرية في علاقة الحاكم وأجابة الإمام المغيلي أيضا بموقف الشريعية والمراعي لمبدا مافي النص الحديث الشريف"الناس شركاء في ثلاثة الكلاء والماء والنار"[1].

وفي السؤال السابع والأخير سأل الأمير الأسقيا عن تلك الفئة الظالمة من الناس التي إدعت معرفة الغيب وأخبار النجوم والجن، وخط الرمل وأصوات الطيور وحركتها بالإضافة إلى ممارستهم السحر ومعاشرةالإماءوكشف العورات عامة وما إلى ذلك من البدع والمنكرات[2].

جاءت إجابة المغيلي من منطلق الشرع، لتحرم التلاعب بمشاعر الناس والعبث بأفكارهم وعقولهم مصدقا لقوله تعالى "... **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** "[3].

تعتبر مناظرات ومحاورات الإمام المغيلي عبارة عن حلول وإقتراحات لمعالجة المشاكل التي كانت قائمة في عصره، فأجوبته عن الأسئلة التي كانت تطرح عليه وعلى العلماء المعاصرين له، تجدها تهتم بالجوانب الدينية والمعاملاتية والإقتصادية وتنظيم الإمارات السودانية وتهذيب مسارات الدواوين وإعتمد الإمام على الجانب العقلي في ردوده على الأسئلة التي تطرح عليها وفيها أظهر المغيلي غزارة العلم والذكاء في مقارعة الحجة بالحجة مع البداهة والفطنة وإدراكا واسعا في شتى العلوم والفنون.

[1]- ابوداود ، سن أبي داود:موسوعة الحديث، الإصدار، 1-2، شركة صخر برامج الحساب، (1991-1996م)، باب البيوع، رفع الحديث، ص:16-30.

[2]- محمد بن عبد الكريم المغيلي:أسئلة الأسقيا، ص:62.

[3]- سورق الطلاق ، الآيتان:2و3.

د- أثار المغيلي الفكرية:

لقد خلف محمد عبد الكريم المغيلي وراءه إنتاجا فكريا غزيرا، في ميدان التأليف وما يزال الكثير منه مخطوطاومحفوظا لدى تلاميذه والمتشيعين له من الأسر، الإسلامية في بلاد السودان الغربي نذكر أهمها:

1-البدر المنير في علوم التفسير.

2-تفسير سورة الفاتحة في ورقة واحدة.

3-مصباح الارواح في أصول الفلاح.

4-مغني الخليل وهو شرح على مختصر خليل وصل فيه إلى موضوع القسمة بين الزوجتي.

5-إكليل معنى النبيل، وهو شرح على معنى الخليل.

6-إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل.

7-شرح بيوع الآجال.

8-مختصر تلخصه المفتاح، وشرع علمه.

9-مفتاح النظر في علم الحديث.

10-شرح على جمل الخونجي في علم المنطق ومقدمة عليها.

11-تأليف في المنبهات.

12-منهج الوهاب منظومة في علم المنطق وضع لها ثلاثة شروح.

13-تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين.

14-شرح خطبة المختصر.

15-مقدمة في العربية وفهرسه لرويات.

16-كتاب الفتح المبسن.

17-أجوبة على أسئلة الأسقيا محمد الاول الكبير.

1/-جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام.[1]

19-عدة قصائد منها الميمية على وزن البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

---

[1]-يحي بوعزيز:المرجع السابق، ص ص:156، 157.

[2]- يحي بوعزيز:أعلام الفكر، المرجع السابق، ص:156، 157.ينظر أيضا:الحاج محمد بن رمضان الشاوش:لمرجع السابق، ص:442. ينظرأيضا: إبراهيم السملالي، المصدر السابق، ص:108

20-تاج الدين في ما يجب على الملوك والسلاطين.

21-تلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة.

22-المفروض في علم الفروض.

23-منظومة في المنطق.

24-شرح الجمل في المنطق.

25-الرد عن المعتزكة. [1]

وغيرها من المؤلفات عدها الأستاذ مبروك مقدم بسبعة وأربعين(47)مؤلفات بين مخطوط ومطبوع[2]، وأغلب هاته النسخ المخطوطة متواجد حاليا في خزائن توات، كما توجد نسخ منها في بعض خزائن المكتبات المغربيةوالإفريقية، كما ألف جملة من القصائد الشعرية (كالبردة مثلا) والمقطوعات النثرية التي جعلت منه عالما يشهد له المعاصرين بالزيادة[3] ، فقد وصفه أحمد بابا التبنكي في كتابه"الصالح الثنى"أحد الأذكياء المتقدمين في الفهم وقوة الإدراك وفصاحة اللسان[4].

لقد أثر الأمام المغيلي في علماء وفقهاء ودعاة السودان الغربي، في النقول الكثيرة التي نجدها في جل كتاباتهم، بل تجاوز ذلك إلى إقتدائهم بسيرته وطريقته في ردع البدع ومنهجه والدعوة، وإلى العمل بأرائه والإقتداء بأفكاره، وإستعمالها في تدعيم مواقفه ومجادلة خصومهم[5].

وكثيرا من الفصول والرسائل التي كتبها هؤلاء العلماء زالدعاة ماهو إلا تكرار أو شرح أو تلخيص و تعليق أو إعادة إنتاج لأفكار المغيلي وكتاباته[6]، فقد ترك إرثا إسلاميا كبيرا، حيث قام بتصحيح مفاهيم كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلاطن خاصة[7].

كما أثر المغيلي بشدة على حكام صنغاي كالأسقيا الحاج محمد الكبير، فاستهدى حاكمها بالتنظيمات الإدارية الاسلامية حتى وصف بحسن السيادة والرفق بالرعية وإقامة الدين أتم قيام في حجية التصدق في حرية بالاموال الوفيرة،وإشترى بساتين في المدينة حسبها على أهل التكرور، و لم

[1] - عبد الحق حميش وآخرون:المرجع السابق، ص ص: 242، 243.

[2] - مبروك مقدم:المرجع السابق، ص:203.

[3] - محمد عبد الكريم المغيبي:أسئلة الأسقيا، المصدر السابق، ص:23.

[4] -أحمد بابا التنكبي:كفاية المحتاج، ص:160.

[5] - مبروك المقدم:المرجع السابق، ص:203.

[6] - محمد بن عبد الكريم المغيبي:اسئلة الاسقيا، ص:23.

[7] - أحمد بابا التنكتي:كفاية المحتاج، المصدر السابق ، ص:160.

يقتصر تأثير المغيلي على من عاصروه من الحكام ، وإنما إمتد عبر الزمن مؤثر على مجمل الحركة الفكرية في السودان الغربي، حيث تأثر معظم العلماء الذين جاءوا من بعده بمنهجه وطرائق تفكيره وكذلك بفتواه[1].

وتظهر بصمات الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في الكثير من معالم[2]، ومآثر التي تؤرخ لسيرته العلمية والتعلمية والإصلاحية الطويلة التي خاضها في السودان الغربي، حيث بقيت شاهدة على ما بذله من جهد في تصحيحه لمفاهيم خاطئة، كانت منتشرة بين العامة وحكام بلاد والأحتكام للكتاب والسنة في المسائل الفقهية والشرعية التي تتعرض الإنسان في حياته[3].

2-تأثير الطرق الصوفية والزوايا:

أ- الطرق الصوفية:

لعبت الطرق الصوفية[4] ، دورا رياديا في نشر الإسلام والثقافة العربية في السودان الغربي[5]، وذلك بتصحيح العقيدة بعد أن مارس السكان بعض العادات الوثنية الشائعة كالسحر الشعوذة وقراءة الأثر وضروب الرمل، وإستحضار الأشياء التي إختلطت بالمثل والقيم الإسلامية وصار من الضروري ظهور رجال الإصلاح والتجديد ليؤسسوا مجتمعات إسلامية تتخذ من الشريعة منهاجا وسبلا للحكم في السودان الغربي[6].

ومن أولى الطرق الصوفية التي ادت دورا مميزا في الحياة الثقافية في السودان الغربي هي:

1-الطريقة القادرية:تأسست القادرية في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) على يد عبد القادر الجيلالي[7]، من أوسع الطرق الصوفية إنتشارا، وقد دخلت إلى السودان الغربي في القرن

---

[1]- عمر عبد الرحمن الماحي:المرجع السابق، ص ص:112، 113.

[2]- للإطلاع على ضريح الإمام المغيلي:بمظر الملحق رقم :06.

[3]- محمد الغربي:المرجع السابق، ص:519.

[4]- **الطرق الصوفية(التصوف)**:هو علو من علوم الشرعية الحادثة في الملة"واصلعه "المعكوف عن العبادة،وانقطاع الى الله تعالى، والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه".ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة، المصدر السابق، ص:864، 865 ينظر أيضا:عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق، ج2، ص:383.

[5]- أحمد مطير سعد غيث:المرجع السابق، ص:170.

[6]- محمد فاضل علي باري:وآخرون، المرجع السابق، ص:42

[7]- عبد القادر جيلالي:ولد سنة 471هوتوفي سنة 561ه(1079م-1166م)،عاش ببغداد حيث اتصل بشيوخ التصوف واخذ عنهم،برع اساليب الوعظ والإرشاد وتصم التدريس والافتاء في بغداد سنة 528ه، أشتهرت بالزهد والتصوف له عدد من الكتب ينظر:إسماعيل العربي:المرجع السابق، ص:221ينظرأيضا:عمار هلال:الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، لجزائر، (د، ط)، 1984م، ص:109.

الخامس عشر ميلادي على أيد مهاجرين من توات، وإتخذوا من مدينة إيولاتن أول مركز لطريقتهم ثم لجأوا إلى تنبكتو[1] ، حوالي القرن التاسع الهجري موافق لخامس عشر ميلادي، ولم يمضي زمن طويل حتى توزع هؤلاء الدعاة من فقهاءيا معلمين في مختلف أرجاء السودان الغربي والمناطق المحيطة بها، وخالطوا القبائل الوثنية التي رحبت بهم بإعتبارهم فقهاء معلمين، فكانوا يدعون الى الدين والعلم معا واستمر هؤلاء الدعاة القادريون يؤسسون المدارس ويشرفون وينفقون عليها، وكان نشاطهم في الدعوة يقوم على الإرشاد السلمي والتمسك بالفضيلة[2]، وحتى عن طريق المصاهدة مع أهالي البلد أو بشراء العبيد لتعليمهم مباديء الدين الحنيف ثم عتقهم ونشر مبدأ الحرية والإخاء والعدل والمساواة إذ أن الزنجي لا يحبذ ان يعامله اخوانه في الاسلام بالنظر الى لونه[3].

ولقد إتسع نشاط الطريقة القادرية في بلاد السودان الغربي على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وأخذ عنه سيدي أحمد البكائي الكنتي (959ه، 1552م) التي عمل على نشر الطريقة في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى، وتعرف طريقته بالطريقة البكائية[4]، وهي جزء من القادرية وبلغت هذه الطريقة أوج مجدها مع ظهور الشيخ سيدي مختار الكنتي فنشر هذه الطريقة في مناطق جنوب بلاد شنقيط –موريتانيا–إلى السنغال والسودان وغينيا[5]بالإضافة إلى الطريقة الفاضلية[6].

وقد نجحت الطريقة القادرية في إستقطاب العديد من سكان السودان الغربي خاصة ملوكها وأمرائها الذين إتخذوا من مقدمي الطريقة مستشارين لهم، فإستفادوا من خبراتهم وهذا ما سهل على الطريقة القادرية الإنتشار بشكل كبير في بلاد السودان الغربي، ومهدت الطريق لباقي الطرق الصوفية الأخرى.

---

[1]– محمد فاضل علي باري وآخرون:نالمرجع السابق، ص ص:43، 44.ينظر أيضا:يحي بوعزيز:تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص ص:16، 17

[2]– أحمد مطير سعيد غيث:المرجع السابق، ص:172.

[3]– حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق، ص:16، 17.

[4]– محمد فاضل علي باري وآخرون:لمرجع السابق، ص:44، ينظر أيضا:الخليل النحوي، بلاد الشنقرط(المانرة.....والرباط)عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي الجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة، النظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (د، ط)، 1987م ، ص:121

[5]– الخليل النحوي:المرجع السابق، ص:121.

[6]– **الطريقة الفاضلية**:أسسها الشيخ محمد فاضل بن ما بين القلعمي(1281ه–1879م)وينظر: الخليل النحوي :المرجع نفسه، ص:121، 122.

2-الطريقة الشاذلية:

تنسب هذه الطريقة إلى سيدي أبي الحسن الشاذلي[1] (939ه/1532م)[2]، ويرجع تأسيس هذه الطريقة الصوفية إلى أبي القاسم الجنيدي ، الذي تأثر به الشيخ شعيب أبو مدين الأندلسي[3] الذي إنتشر صيته خلال القرن الثاني عشر في كافة العواصم الإسلامية وقد تتلمذ على يد الشيخ عبد السلام بن مشيش المغربي الأصل[4]، ويرجع منبع الشاذلية إلى هؤلاء العلماء الثلاثة الذين تأثر بهم الشاذلي، وإستند إلى أرائهم وأفكارهم لتكوين طريقة صوفية المعروفة بالشاذلية[5]، التي نشرها في إفريقيا الشمالية، ومنها أخذت طريقها إلى السودان الغربي، وتعد من أهم الطرق الصوفية، حيث تفرع عنها فريقين:

1- **الناصرية:**تنسب إلى الشيخ محمد بن ناصر الدرعي المتوفي سنة (1036 ه/1626م) وتم نقل هذه الطريقة إلى هذه المنطقة عن طريق جماعة من العلماء مثل عثمان بن سيدي عمر الوالي المحجوبي المتوفي سنة (1132ه/1719م)، سيدي عثمان بن سيدي عمر الولي المحجوب لمتوافي سنة(1132 ه / 1719 م) وغيرهم.

وهذه الطريقة أقوى نفوذا وأوسع إنتشارا من غيرها ذلك لبسطتها وإنسجام مباديء مع ميول سكان سودان الغربي التي عملت على بسط المعارف والعلوم وتقريبها للأذهان، لذلك أقبل عليها سكان السودان الغربي وتنافسوا في أخذها أورادها وأذكارها وتعاليم شيوخها[6].

2-الغطفية :وهي مزيج من الطريقتين القادرية والشاذلية وتنسب إلى الشيخ محمد الأغطف الداودي الجعفري، وازدهرت في عهد الشيخ يدي مختار بن الطالب أحمد بن نوح البصادي

---

[1]- **أبي الحسن الشاذلي:**أبو الحسن علي بن عطاء الله بن عبد الجبار الشاذلي ، الملقب بتاريخىالدييني إرتقى الدين ولد في سنة (593ه-1196م)وتتلمذ على يد أبي محمد عبد السلام مشيش الذي بدوره تتلمذ على يد الشيخ أبي مدني حفظ القران ودرس السنة والعلوم الدينية ، زار العديد من المدن (مصر، بغداد يقاع المقدسة القرفي 12558م-ينظر هلال عمار :المرجع السابق ، ص:101،105.

[2]- الخليل النحوي:المرجع ، ص:122.

[3]- **أبو مدين شعيب الأندلسي:**ولدسنة 520ه نشر مذهبه في كل إفريقياالشمالية ، توفي في تلمسان، خلف عدة مؤلفات في علوم القران والتفسير الفقه ينظرأيضا: عمار هلال:االمرجع السابق، ص:100.

[4]- **عبد السلام بن مشيش:**أبو محمد عبد السلام بم مشيش بن منصور بن إبراهيم الحسن عاصر السلطان عبد المؤمن المتوفي سنة 1160وخدمة، وهو مغربي الأصل عاش خلال القرن السابع الهجري إغتيل سنة 1128.ينظر:عمارهلال:المرجع نفسه، ص:100.

[5]- عمار هلال:المرجع نفسه، ص:100، 101.

[6]- عمار هلال:المرجع نفسه، ص:100، 101.

وخلفائه، وهي طريقة محكمة التنظيم[1]، وقد ظهرت بمنطقة أدرار(اوجف)، حيث تميزت بالتقشف والإنغلاق والرقص والجذب، إذ تصدر عن إتباع هذه الجماعة شطحات غريبة خلال إجتماعهم لتذكر ويأخذهم الجذب والرقص فتتعالى أصواتهم بالتهليل والتكبير[2].

بالإضافة إلى هذه الطرق الصوفية التي تفرعت عن الشاذلية نذكر منها: الرازية[3]، والغازية[4]، وغيرهما من الطرق الصوفية الاخرى.

نستنتج أن الطرق الصوفية، كان لها دور كبير في ترسيخ قيم الاسلام واللغة والثقافة العربية في منطقة السودان الغربي.

ب–الزوايا:

تعد الزوايا[5]بصفة عامة منبع روحي وعلمي في نفس الوقت[6]، فلها دور مماثل للمدارس والمساجد في نشر التعليم وتثبيت دعائم الإسلام في السودان الغربي، وأنشأت هذه الزوايا من قبل رجال الطرق الصوفية ووصلت إلى هذه المنطقة عن طريق علماء توات ورجالهم[7]، وكان دور هذه الزوايا العبادة والتصوف و لم يقتصر على نشر الطريقة فقط ، بل تعدى ذلك إلى مساعدة الفقراء والمعوزين وعابري السبيل حيث تفتح أبوابها لهم أين يجدون الراحة والمأوى والمأكل، كما كان لها وظيفة أخرى تتمثل في القيام بالصلح بين المتنازعين وعقد الزواج وغير ذلك من الأعمال الجليلة.[8]

كانت للزوايا التواتية الفضل الكبير في تحقيق التعريب وبث معارفها بين الناس عن طريق بعث الدعاة والمسلمين الذي كانوا يجوبون بلاد السودان الغربي ومن بين هؤلاء الفقهاء الذي أسسوا

[1]– الخليل النحوي:المرجع السابق، ص:124.

[2]– مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:260.

[3]– **الرازية**:ظهورت نحو 1526ه ، في وادي الدرع في المغرب الأقصى ومؤسسها الشيخ الرازي بن أبي القاسم أو أبي الحسن القاسم الرازي وتتلقب هذه الطريقة بالناصرية والزيانية، ينظر:عمار هلال، المرجع السابق، ص:107.

[4]– **الغازية**:نسبة إلى أبي الحسن القاسم الغازي، أنشأ زاوية هامة في وادي الدرع وبعد وفاته 1526م أسس أنصاره الطريقة الغازية.ينظر:هلال عمار:لمرجع نفسه ، ص:107.

[5]– **الزوايا**:مأخوذة من فعل إنزوى أي أتخذ ركنا من أكان المسجد للأعتكاف والتعبد أي هي موضع العبادة يقال له الزواية.ينظر:الخليل النحوي:المرجع السابق، ص:34.

[6]– عبد القادر باجي:الإمام المغيلي عصر وحياته(دراسة تاريخية تحليلية وتوثيقية)، منشورات وزارة الشؤون الدينيةوالاوقاف، تلمسان، الجزائر، (د، ط)، 2011، ص:95.

[7]– مبخوث بودواية:المرجع السابق، ص:262.

[8]– عبدالقادر باجي:المرجع السابق، ص:96.

زوايا في المنطقة هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي إستقر بتوات وإتخذها قاعدة له في نشر الإسلام في السودان الغربي وبعد وفاته إستمر التواتيون في نشر أفكار والثقافة الإسلامية بها، حيث إستقر بعض التجار من توات في مدينة تنبكتو وساهموا في بناء الزوايا والمساجد[1].

3-التأثير العمراني والفني:

لقد كانت العمارة في بداية الأمر في السودان الغربي، بسيطة جدا عبارة عن أكواخ من النبات أو الطين أو الأخشاب وكان الفناء الخارجي للسكن محاطا بأكوام من الشوك القصيرة[2]، ويذكر الحسن الوزان واصفا مملكة جنى:بأنه لا مدينة فيها ولا قصرا ماعادا قرية واحدة كبيرة، يسكنها الملك وحاشيته وأعوانه أما عن باقي دور الرعية فوصفها بأنها مجرد أكواخ مملوطة الحيطان بالطين مغطاة بالتبن[3]، أما عن مدينة تنبكتو.فقد ذكر الحسن الوزان بأنها عبارة عن أكواخ مبنية بالأوتاد مملوطة بالطين مسقوفة بالتبن[4] ، ومن هنا نرى بأن بيوت الدور في بلاد السودان الغربي متشابهة الى حد كبير.

ثم برزت مآثر الثقافة الإسلامية بوضوح في الجانب العمراني حيث تغيرت ملامح المدن التي إتخذت طابعا إسلاميا[5]، إذ حاول أمراء المماليك الإفريقيا إرفاق المهندسين العرب منهم لنقل المخططات والأشكال التي عليها البناية العربية الإسلامية في المغرب الأوسط، وقد عمل الأهالي على مباركة هذا الإندماج الحضاري لبنياته وما أدخل عليها من طرف العرب القادمين لهذه البلاد فأمر الملوك ببناء القصور تشابه الهندسية المعمارية للبنايات المغربية فعملو على تقليدها خاصة ما يتعلق بالبنيات الدفاعية كالأبراج وأحاطة المدن بصور عال ووضع ثقوب على الجدران الخارجي[6]، وقد إلتقى منسى موسى خلال إقامته في مكة بالشاعر والمعماري الأندلس إسحاق إبراهيم الساحلي، فإسطحبه معه إلى مالي حيث شيد مساجد و مباني فخمة كانت أول من نوعها حيث أدخل فن العمارة الجديدة قائمة على القرميد المحروق والسقوف المنبسطة والمآذن ذات شكل الهرمي، وفي هذا يذكر إبن خلدون أن منسى موسى أراد أن يتخذ بيتا في قاعدة سلطانه فأطرقه

[1]- مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص:263.ينظرأيضا:الخليل النحوي:المرجع السابق، ص:34-37.

[2]- محمد الغربي:المرجع السابق، ص:625.

[3]- الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص:136.

[4]- الحسن الوزان :المصدر نفسه:ج2، ص:165.

[5]- الطاهرة بخدة:لمرجع السابق، ص:47.

[6]- عبد القادر باجي:المرجع السابق، ص:71.

أبو إسحاق الطوجين ببناء قبة مربعة الشكل إستفرغ فيها إجادته وأضفى عليها من الكلس وواله عليها بالأسباغ المشبعة فجاء من أتقن المباني ووقعت عن السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضه[1].

ومن تأثير المغرب الاوسط إدخال طابع خاص في بناء المساجد بإستخدام الآجر لأول مرة فأصبح لكل مدينة مسجدها الكبير، وكان الأجور المحيطة بالمسجد تماما كتلك الموجود في بلاد المغرب الأوسط عامة، من ذلك بناء وتنظيم المخازن والمتاجر والحوانيت حول المسجد[2]، بالنسبة للبيوت فكانت مبنية على طراز المغرب الأوسط حيث خصص في كل منزل جناح خاص للضيوف وقد ذكر أن قصر ملك بغانة كان محصنا ومبنيا بالطوب المشوي وله نوافذ زجاجية وبداخله نقوش وتزينات وكان الملوك النبلاء يستقدمون البنائيين من المغرب الأوسط ليقيموا لهم البيوت والقصور على الطراز المغربي[3].

ونجد تأثير مدن المغرب الأوسط على السودان الغربي من خلال المظاهر الأساسية الموجودة، حيث أستعملت في السودان الغربي أبواب ضخمة والمخازن البضائع الموجودة بأسفل دور السكن التي كانت تتسم سطوح عليا[4]، وهي تتشابهة للعمارة الموجودة في الدولة الزيانية

كما عرفت مدن (جنى وغاو تنبكتو)بناء القصور الشامخة والدور الرفيعة المدارس الأنيقة والمساجد الفسيحة المزخرفة[5].

وفي القرن الخامس عشر (15م) قام المعماري السوداني محمد فادي الذي أخذ عن المهندسين المغاربة في بناء المسمى بالطراز المغربي والمتمثل في شكل المربع المسقوف بالتراب والمحاطة جوانبه من الأعلى بإطار قليل الارتفاع، وكثيرا ما تتخلله ثقوب صغيرة، وكان خاصة بالمساجد ودور السادة في بداية الأمر ثم عم إستعماله لدى جميع، وقد عرف بعد ذلك الشكل الهرمي الذي أستعمل خاصة في بناء المساجد لاسيما في عهد الأسقين[6]، وهكذا أدخل الطراز المعماري الأندلسي المغربي إلى السودان الغربي.

[1]- محمد فاصل علي باري وآخرون:المرجع السابق، ص:84، ينظر أيضا:نبيلة حسن محمد:لمرجع السابق، ص:234، 235.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة المصدر السابق، ص:189.

[3]-نعيم قداح:المرجع السابق، ص:145.

[4]- مبحوث بودواية: المرجع السابق، ص:253.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي:المرجع السابق، ص:251.

[6]- مبخوت بودواية:المرجع السابق، ص: 252.

4-التأثير الفني:

أما الجانب الفني في السودان الغربين، فقد ظهر بالدرجة الأولى في عهد الأسقيين خاصة من الناحية الموسيقية والرقص والغناء والنقش والنحت[1]، ويذكر الحسن الوزان أن شاهد بنفسه في بلاد السودان الغربي أن سكان الأحياء المختلفة يبيتون في غناء ورقص حتى مطلع الفجر خاصة في الأعياد والمناسبات، بينما كان الغناء غيرإحترافي بالقرى والأرياف فإنه كان في المدن خاصا بقبائل معنية وفرق متخصصة يستدعيها السكان في المناسبات لإقامة الحفلات[2]، وآلات الطرب كانت موجودة حينذاك كالطبول بأنواعها الكبيرة التي يستعملها الحرس الملكي بالجيش والصغيرة التي يستعملها الناس عامة، والأبواق المصنوعة من قرون الأبقار وأنياب الفيلة والمزامير المصنوعة من قصبان اليراع، كما وأدخل البربر آلة تشبه الأرغانون تعزف على أربعة عشر إيقاع[3]، وعرف عن السودانيين أنهم كانوا يشتركون في شكل جماعي في الرقص.

أما فن النحت تضاءلت أهميته مع إنتشار الإسلام وتشدد العلماء في تحريم تقليد صور الحيوانات والأشخاص التي هي من مخلوقات الله وحده[4].

نستنتج مما سبق أن بلاد السودان الغربي تأثر بشكل كبير بعلماء المغرب الأوسط منهم عبد الكريم المغيلي الذي كان له أثر إصلاحي فكري، ديني على ملوك السودان و سكانها بالإضافة الى دور الذي لعبته الزاوية في نشر الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة كما تأثر ملوكها بالفن المعماري الذي كان موجودا في المغرب الإسلامي.

[1]- مبخوت بودواية:المرجع السابق ، ص: 254.

[2]- محمد الغربي:المرجع السابق، ص:617.

[3]- محمد الغربي:المرجع نفسه ص:616.

[4]- محمد الغربي:المرجع نفسه ، ص:616.

خاتمة

خـــاتمـــة:

من خلال دراستنا للعلاقات التجارية والثقافية للدولة الزيانية والسودان الغربي في الفترة الممتدة مابين (633-962ه/1236-1554م)، نستخلص جملة من الإستنتاجات وهي كالآتي: لقد إرتبطت الدولة الزيانية بممالك السودان الغربي عن طريق القوافل التجارية التي كانت تجوب الإقليمين حاملة معها مختلف السلع والبضائع من أسواق الزيانيين والمتمثلة في المواد الزراعية والصناعية والمنسوجات بأنواعها في المقابل، كان يجلب من السودان الغربي الذهب والعاج وريش النعام وغيرها من المواد، وذلك بفضل الشركات التلمسانية مثل عائلة الإخوة المقري وعائلة المرازقة و العقباني، الذين كان لهم الدور الكبير في إزدهار الحركة التجارية.

تنوعت ظروف التعامل التجاري، فكان التجار المغرب الأوسط (الزيانيون) يتعاملون مع السودان الغربي عن طريق التجارة الصامتة (المقايضة) في بداية أمرها، ثم تطورت بعد ذلك إلى التعامل بالأصداف والودع ثم العملات الذهبية والفضية.

كما أقيمت في المسالك والطرق العديد من المحطات والأسواق التجارية الرابطة بين الدولة الزيانية والسودان الغربي التي كانت تمر عبرها القوافل التجارية والتي أثرت على الجانب الثقافي بإنشاء العديد من المساجد والمدارس والمعاهد العليا، و الزوايا عن طريق علماء توات الذين اشتهروا بكثرة ترحالهم إليها.

تأثر السودانيون بالمغرب الأوسط من حيث المعاملات التجارية الإسلامية والمتمثلة في المكاييل والموازين والمقاييس التي استعملوها في أسواقهم.

بعد دخول الإسلام إلى بلاد السودان الغربي جعلها تزدهر حضاريا وثقافيا وذلك بظهور العديد من المؤسسات الثقافية في مراكز مالي وجنى وتنبكتو التي أمها العلماء والفقهاء.

كما اهتم ملوك وسلاطين السودان الغربي بالعلماء والفقهاء وقربوهم منهم مثل الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، الذي لعب دورا بارزا في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي من الناحية الدينية والفكرية، ويظهر ذلك من خلال أجوبةالمغيلي لكل من السلطان

محمد بن يعقوب ومضا أمير مملكة كانو و الأسقيا الحاج محمد الكبير حاكم مملكة صنغاي، والتي تظهر الحالة الإجتماعية والإقتصادية والدينية لسكان السودان الغربي.

تأثر العديد من علماء السودان الغربي بأفكار المغيلي و كتاباته.

كانت للطرق الصوفية دور كبير في المنطقة، من خلال تصحيح عقيدة المجتمع السوداني، مثل الطريقة القادرية التي انتشرت منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، والطريقة الشاذلية.

بالإضافة إلى الزوايا التي كانت منبرا للعبادة والعلم و مركزا للطلبة والمسافرين وإيواء للفقراء وأبناء السبيل.

لقد تأثر سلاطين بلاد السودان الغربي بالفن المعماري الموجود بالمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، فجلبوا معهم مهندسين ومعماريين الذين ساهموا في تطوير العمارة السودانية، خاصة في مدنها:تنبكتو وجنى وغاو، من خلال مساجدها ومنازلها وقصورها.

كما تأثروا بالجانب الفني بالدرجة الأولى في عهد الأسقيين، فأدخلوا بعض الآلات الموسيقية كآلة الأرغانون، أما فن النحت فقد تضاءل بسبب إحتكام للشريعة الإسلامية القائمة على تحريم مثل هده الأعمال.

الملاحق

ملحق رقم 01

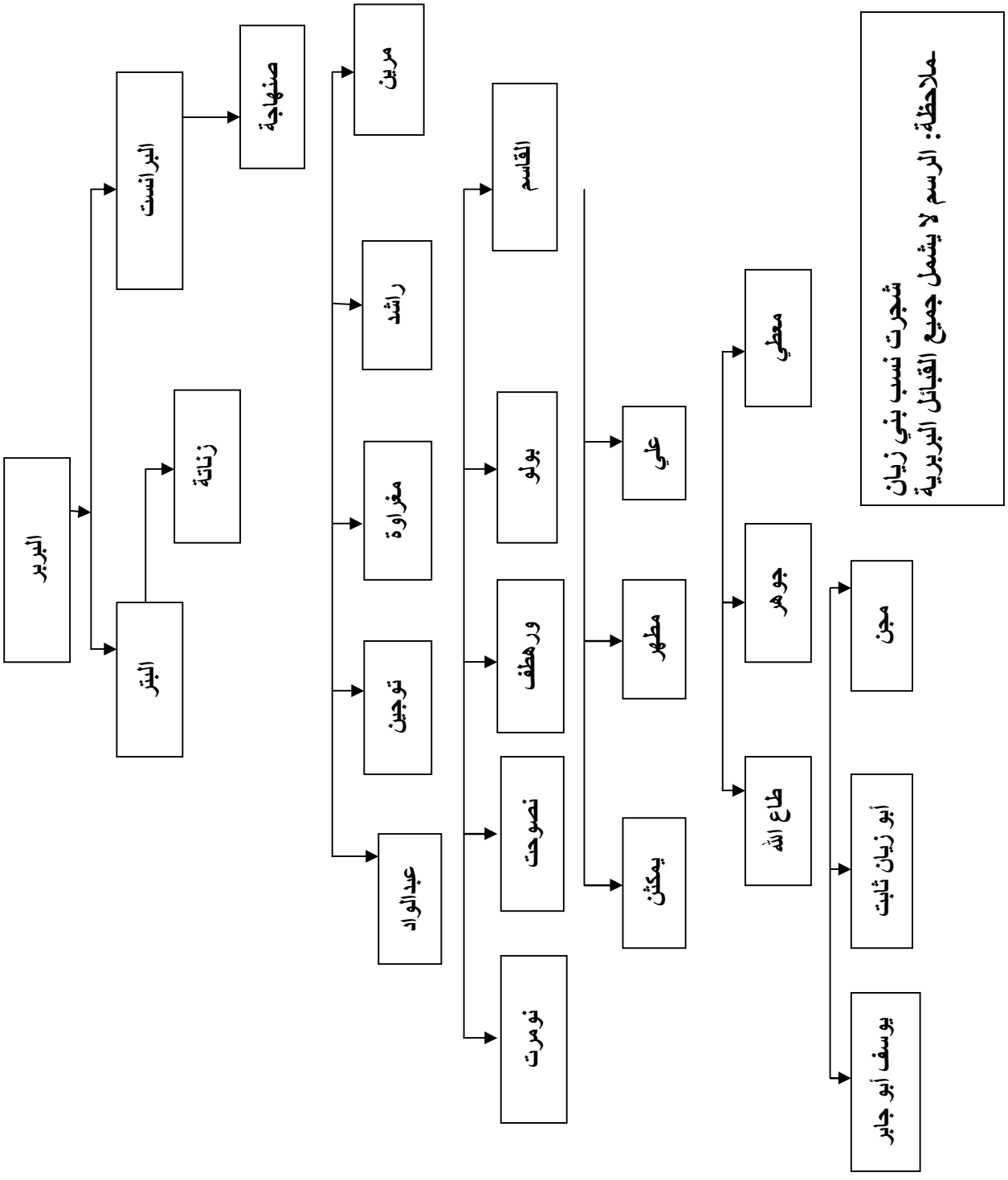

-بسام كامل عبدالرزاق شقدان: المرجع السابق ، ص:53.

ملحق رقم02

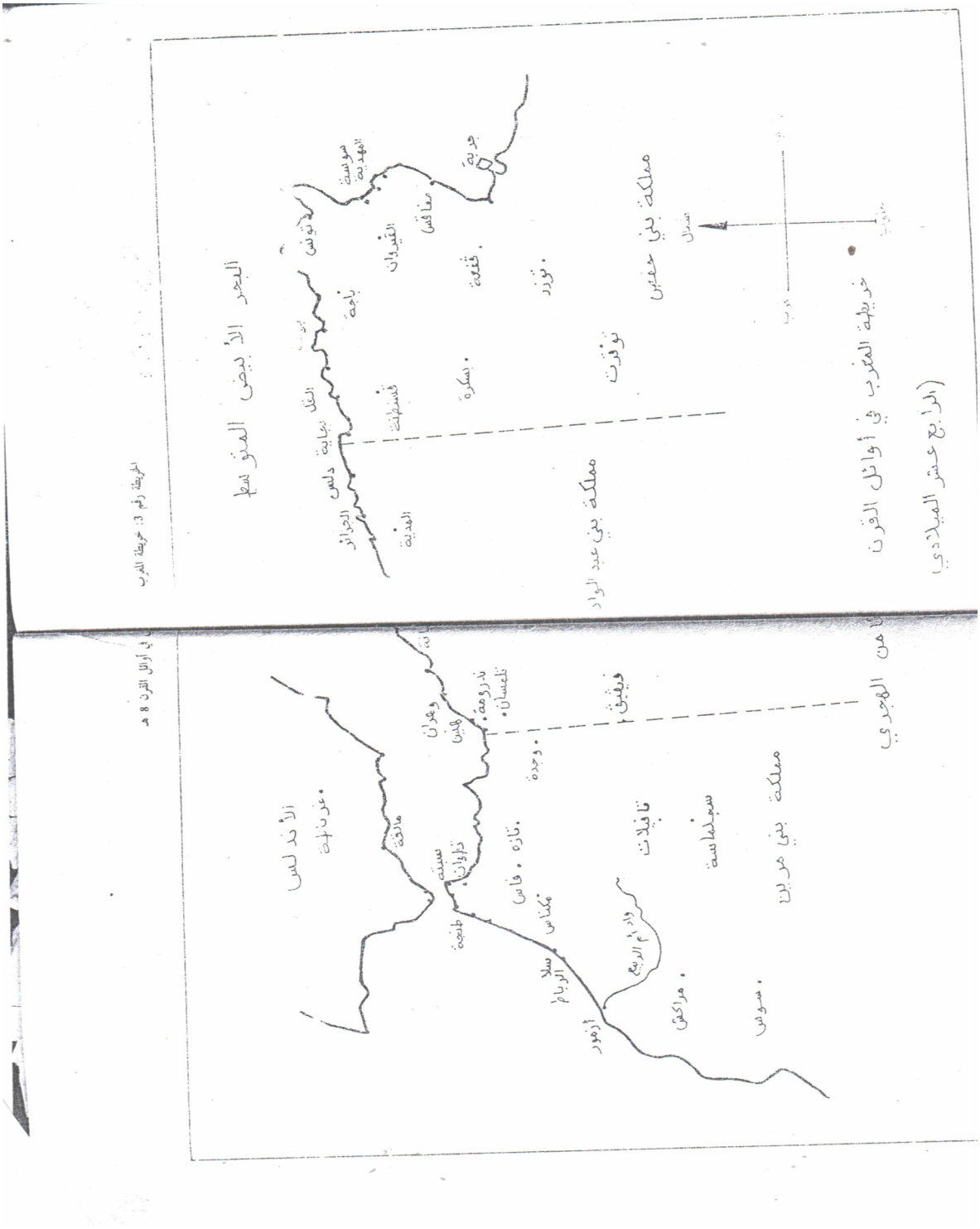

خريطة المغرب في أوائل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

ينظر محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص ص: 584، 585

ملحق رقم 03

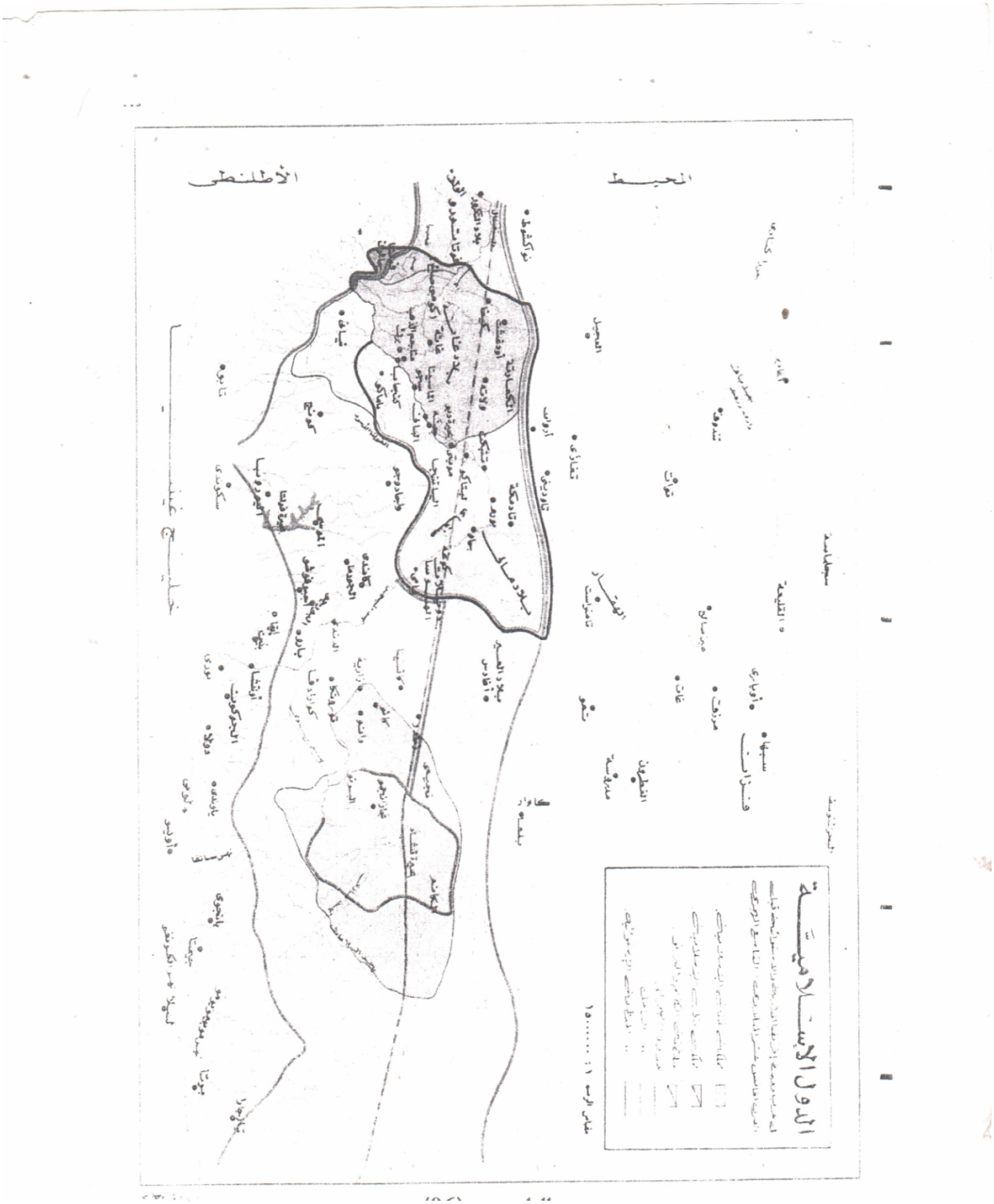

خريطة الممالك الإسلامية (غانة، مالي، صنغاي)

ينظر: حسين مؤنس:أ طلس تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص:374.

ملحق رقم 04

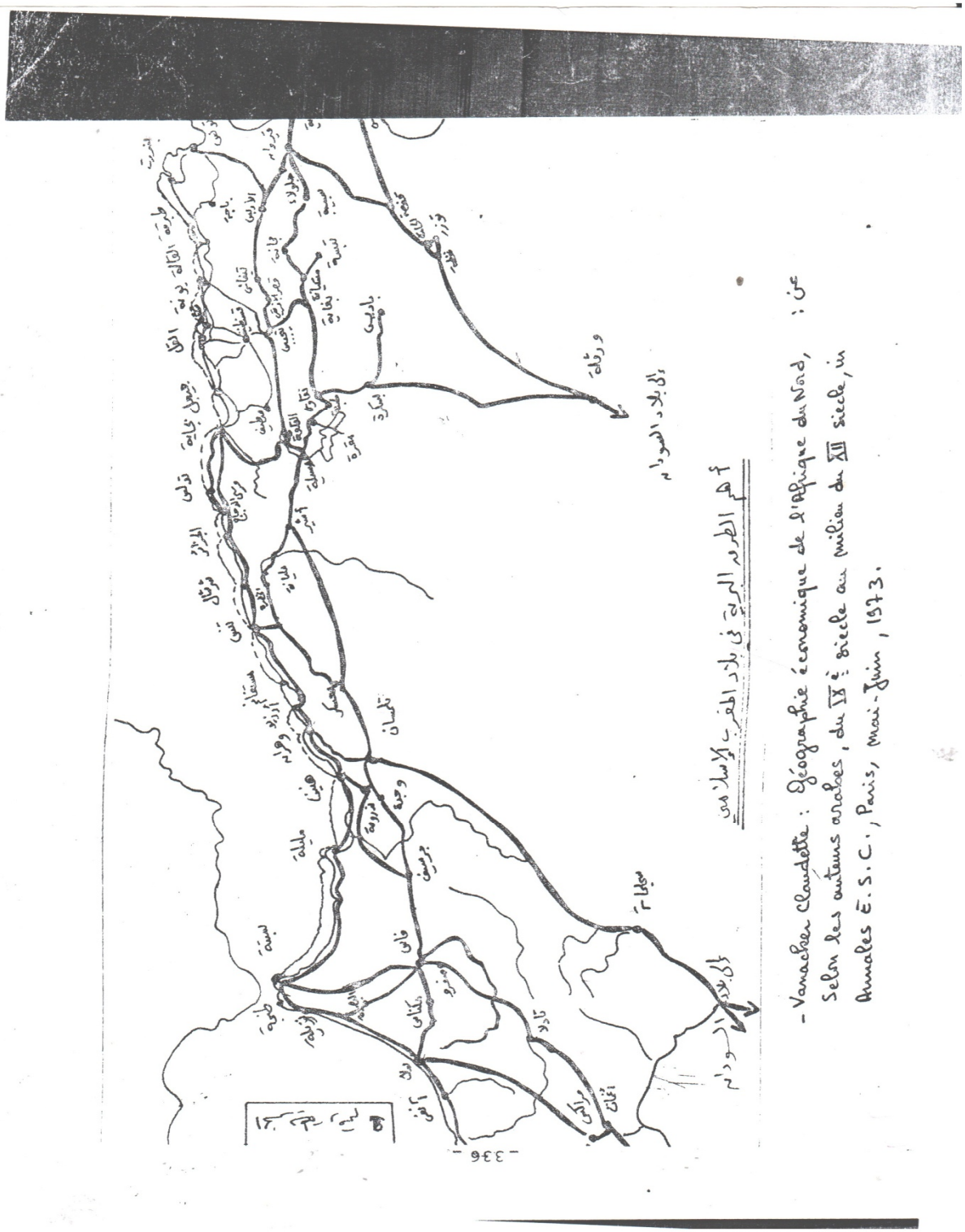

أهم الطرق البرية في بلاد المغرب الإسلامي

ينظر:بشاري لطيفة:التجارة الخارجية لتلمسان، المرجع السابق، ص:336.

ملحق رقم: 05.

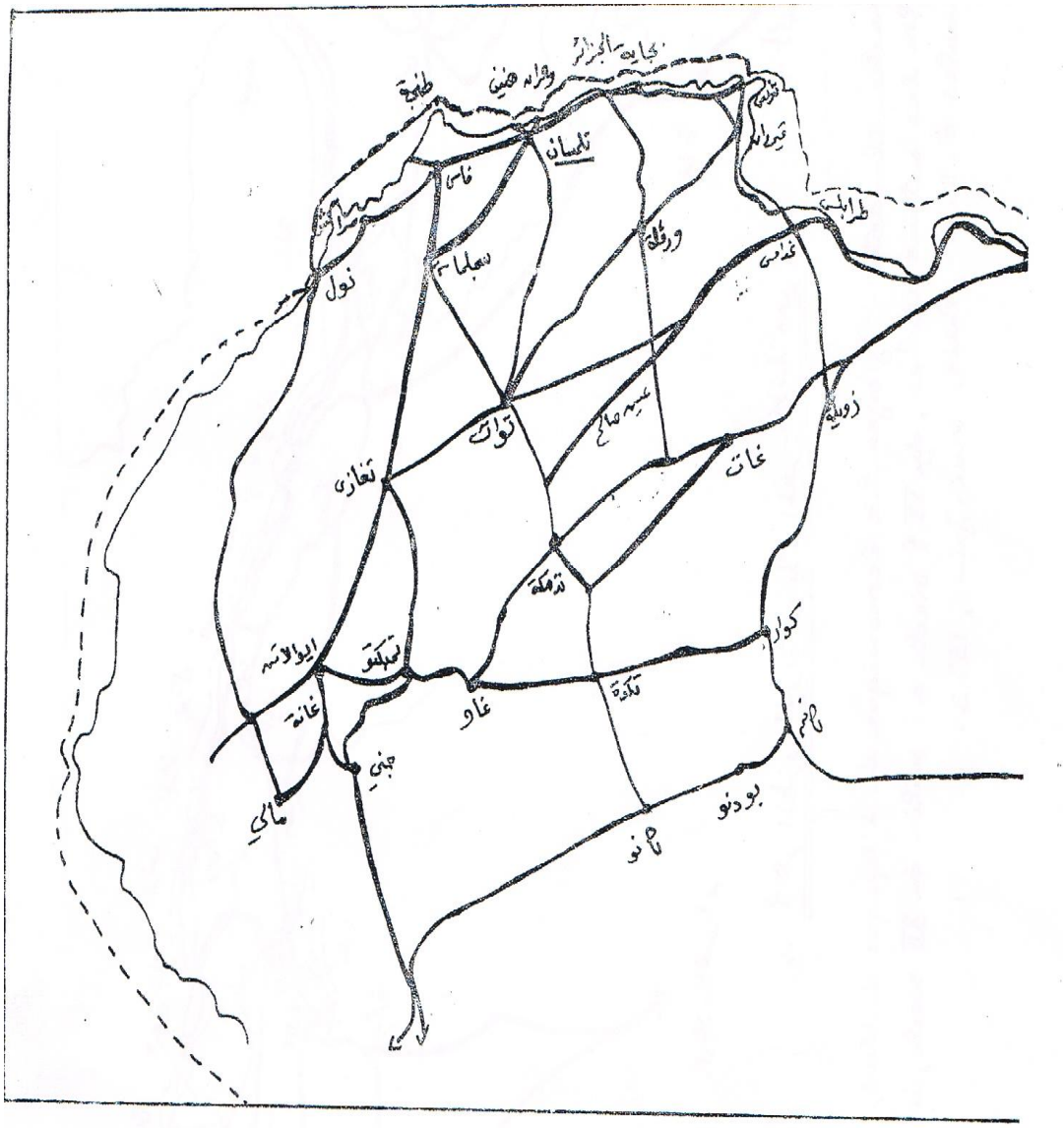

خريطة طرق التجارة الرئيسية في القرنيين الرابع عشر و الخامس عشر الميلادين.

-Mauny،Tabeau geographique،p:434.

ملحق رقم: 06.

صورة توضح مقبرة ورضة الشيخ بن عبد الكريم المغيلي

ينظر: مبروك المقدم: المرجع السابق ص: 312.

قائمة المصادر والمراجع

أ/-القرآن الكريم.

ب/-قائمة المصادر:

1- أحمد بابا التنبكتي :نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ،ج1-2، اش وتق:عبد الحميـــد عبـــد الله المرامة،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس (د،ط)،(د،ت).

2- ابن الأحمر أبو الوليد: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ،تق وتح وتع:هاني سلامة ،مكتبة الثقافة الدينية،ط1، 2001م.

3-ـــــــــــــ: روضة النسرين في دولة بني مرين. تح: الوهـــاب منـــصور، المطبعـــة الملكيـــة الرباط،1962م.

4- الأغا بن عودة مزاري : طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنـــسا إلى أواخر القرن 19م ،ج1 ، تـــح ود ر: يحـــي بـــوعزيز ، دار الغـــرب الإســـلامي ، بـــيروت ، لبنان،(د،ط)،(د،ت).

5-ابن بطوطة أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم (889ه-1493م) :تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح وتع :علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الزمالة: بيروت ،ط4،1985م.

6-الإدريسي أبو عبد الله بن محمد الحموي الحسني (560ه/1166م)،القارة الإفريقية و جزيرة الاندلس،مقتبس عن نزهة المشتق في إختراق الأفاق ،تح و تق : إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية : الجزائر : ط1 : 1983م .

7-ـــــــــــــ: وصف إفريقيا الشمالية و الصحراوية، مقتبس من كتـــاب نزهـــة المـــشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية:الجزائر (د-ط)1967م.

8-الدمشقي شمس الدين:نخبة الدهر و عجائب الـــبر و البحـــر ، بيزبورغ،المطبعـــة الأكاديميـــة للإمبراطورية المقدسة، ط2.

9 -الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم: المسالك و الممالك ، تح: محمد جابر عبد العالي الحيمـــي، مر : محمد شفيق غربال ، دار القلم :القاهرة ، ط1 ،1961م.

10- ابن الخطيب لسان الدين (ت:779) :الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج2،تج،محمد عبـــد الله عنان،مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط،1973م.

11-ابن حوقل أبو القاسم النصيبي:صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة : بيروت، (د،ط)،1979م.
12-أبي راس الناصري(ت 1438) :لقطة العجلان في شرف عبد القادر بن زيان وأنه من بـــني زيان ملوك تلمسان ،در و تح ،حمدادو بن عمر:وزارة الشؤون الدينية والأوقـــاف: تلمـــسان ، الجزائر ،1432هـــ/2011م
13- ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بن عبد الواد ،ج1، تـــح: عبـــد الحميـــد حاجيات ، المكتبة الوطنية : الجزائر، 1400هـــ ، 1980م.
14-ابن خلدون عبد الرحمن: العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربـــر ومـــن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج13،7،6،1 ، دار القلم ،بيروت ،لبنان ،1968 م.
15-ـــــــــــــــ: المقدمـــــة، دار الكتـــــاب اللبنـــــاني:بـــــيروت، ط1،1968م.
16ـــــــــــــــ:تاريخ دولة بني زيان (مقتطف من كتاب ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر وكتاب تـــاريخ الدولـــة الزيانية بتلمسان لابن الأحمر ،تق ،تح : عبد الحميد حاجيات ،دار مدني ، تلمـــسان، 2002م.
17-ابن خلكان أبو العباس : وفيات الأعيان و أبناء الزمان ،ج2،تح:إحسان عبـــاس ،مطبعـــة الغرب :بيروت ، 1968م.
18-ابن رشد:فصل المقال تقرير مابين الشريعة واالحكمة من الاتصال،تح: ابنة عمـــران الـــشيخ وجلول البدوي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
19-ابن مريم التلمساني:البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،تق:عبد الرحمان طالب ،ديوان المطبوعات الجامعية:الجزائر،1981م.
20- البرتلي محمد بن أبي بكر الصديق :فتح التكرر في معرفة أعيان علماء التكرور ،تح محمـــد إبـــراهيم الكتـــاني محمـــد حجـــي دار الـــشعوب الإســـلامي ،بـــيروت،1981م.
21-البكري أبي عبيدالله بن عبد االعزيز :المغرب في ذكر بـــلاد إفريقيـــة والمغـــرب (المـــسالك والممالك) ،البارون دوسلان ،الجزائر، 1957م.
22- التونسي محمد بن غمرات :274ه-1957م تشحيذ الأذهان بسرة بلاد المغرب والسودان، تح:خليل محمود عساكر و مصطفى مسعد الدار القومية: القاهرة، ط1 ،1965م.

23- التنسي محمد بن عبد الله : نظم الدررالعقيان في بيان شرف بني زيان من ملوك تلمـــسان ، تح: محمود بوعياد، وزارة الثقافة : الجزائر، 2007م.

24- الحميري محمد عبد المنعم :الروض المعطار في خير الاقطار ،تح:احسان عباس ،مكتبة لبنان : ط1، 1985م.

25- الحموي ياقوت: معجـــم البلـــدان، مـــج2، دار صـــادر:بـــيروت، (د، ط)، 1988م.

26- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم:تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،تح وتع:محمـــد ماضورة، المكتبة العتيقة:تونس،ط2،1966م.

27- ابن سعيد المغربي (ت : 673هـــ/1274م) : كتـــاب الجغرافيـــا ، تـــح : إسماعيـــل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، لهم ،1982م.

28 -السعدي عبد الرحمن (ت:1066،1565م) : تاريخ السودان ،تخ و تع : هو دانر و بنوه ، المطبعة الأمريكية ،باريس ، (د-ط) ،1964م.

29- السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:الاستقصاء لإخبار المغرب الأقصى (الدولـــة المرينية) ،ج3،تح،وتع:جعفر الناصري،محمد الناصري،دار الكتاب،دار البيضاء : 1954م.

30 - السملالي أبو العباس بن إبراهيم :الام بمن حل مراكش واغمات من أعلام، ج5، مر:عبد الوهاب بن منصور،طبعة الملكية،الرباط،ط 2 ،1420ه /1999م.

31- ابن عبد الحكم (240هـــ/829م): فتوح البلدان ،تر : ألبرت جانو (د ء.ط) ، 1948م.

32-ـــــــ:فتوح مصر و المغرب، تع:عبد المنعم عامر، مكتبة التحرير: القاهرة، (د-ط) ، (د-ت).

33-العقباني أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم ابن سعيد:فة الناظر وغنية الـــذاكر في حفـــظ الشعائر وتغيير المناكر،تح،علي شنوفي،(د،ت).

34-علي أبي زرع الفاسي:لذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرنية.تح: عبد الوهاب بن منـــصور، دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط (د.ط) ،1972م.

35-ـــــــــــ: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغـــرب وتـــاريخ مدينـــة فاس،دار المنصور للطباعة ،الرباط،1972م.

36- الفشتالي عبد العزيز:مناهل الصافي في مآثر موالينا الشرفا ،تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف ،المغرب،1972 م.

37- القزويني زكريا بن محمد بن محمود:ثار البلاد و أخبار العبـــاد ، دار صـــادر ،بـــيروت ، (د.ط)،(د.ت).

38-القلقشندي أبو العباس،صبح الاعشى في صناعة الانشا ج:5،المطبعـــة الاميريـــة ،القـــاهرة 1333هـــ،1915م.

39- ابن قنفذ القسنطيني (ت 809ه/1406م) :لوفيات ، تح و تع : عادل نويهض، مؤســـسة نويهض الثقافية : لبنان ،ط، 1982م.

40- القيرواني ابن أبي دينار :المؤنس في أخبار افريقية وتونس ،تـــح : محمـــد سمـــام ،(د.ط)، تونس،1967م.

41-الشماع أبو عبد الله محمد ابن أحمد :الادلة البينية النورانية في مفاخر الدولـــة الحفـــصية،،تع وتق:الطاهر بن محمد المعموري ،الدار العربية للكتاب،تونس،1984م.

42- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح : سهيل زكار و عبد القادر زمانة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1979م.

43- مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار،تح، ســـعد زغلـــول عبدالحميـــد ،دار الـــشؤون الثقافية،بغداد،1968م.

44-محمود كعت:تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيـــوش واكـــابر النـــاس وذكـــر وقـــائع التكرور،تح:هوداس،باريس، 1981م.

45-المراكشي محي الدين أبو محمد عبد الواحد :المعجب في تلخيص أخبار المغـــرب،تح:محمـــد زينهم، دار الفرجاني للنشر ،القاهرة ،(د،ط)،1994م.

46-المراكشي ابن عذارى :البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1،تح ومر:ج،س كولان وليفي بروفنسال،دار الثقافة ، بيروت،لبنان،ط3،1983م.

47- المغيلي محمد بن عبد الكريم:أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تح:عبـــد القـــادر زباديـــة،رقم النشر:286/72،الجزائر،1974م.

48-المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت:380هـــ: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تق: شاكر لعبي، دار السويدي ، أبو ظبي ، ط1 ،2003م.
49-المقري احمد بن محمد المقري التلمساني(ت:1040م):نفح الطيب من غض الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب،مج5،تج:إحسان عباس،دار الصادر ،بيروت،1968م.
50- ميقا أبوبكر إسماعيل: ، الحركة العلمية والثقافيـــة والإصـــلاحية في الـــسودان الغـــــربي مـــن400 هـــ-الى1100 هـــ، في عهد الممالك الإسلامية غانة ومالي.
51- الوزان الحسن بن محمد الفاسي: وصف إفريقيا،ج2، تر:محمد حجي ومحمد الأخـــضر، دار المغرب الإسلامي ،:بيروت، لبنان ط2،1983م.
52-الونشريسي أحمد بن يحي(ت:914ه):المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتـــاوي علمـــاء الأندلس والمغرب،ج5،تح:محمد حجـــي :دار الغـــرب الإســـلامي، بـــيروت ط1 ،1983م.
53- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح،(284هـــــ)، ابـــن أبي:كتاب البلدان ،طبع بمطبع بريل،مدينة ليدن،(د،ط)،1860م.

ج/-قائمة المراجع:

54-أحمد شكري: الإسلام و المجتمع السوداني (إمبراطورية مـــالي (1230-1430م)، مجتمـــع الثقافي للنشر و التوزيع، أبو ظبي، ط1، 1999م.
55-أحمد شكري: مملكة غانة و علاقتها بالحركة المرابطية، معهد الدراسات الإفريقية: الربـــاط ط1، 1997م.
56-الإدريسي عبد الله الهادي: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتـــصديه للخطـــر اليهودي لصحراء توان والصقع الـــسوداني، ج1،ابتكـــار للنـــشر والتوزيـــع: تلمـــسان، ط1، 1432ه2011م.
57-إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتـــاب: الجزائـــر، ط 1، 1983م.
58-بلعربي خالد:الدولة الزيانية في عهد يغمراسن (دراســـة تاريخيـــة وحـــضارية) 633هـــــ 681هـــ/1235م -1282م، دار الالمعة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011م.

59-بن موسى جميلة:تجارة الذهب المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن التاسع المـــيلادي القرن الحادي عشر، منشورات بلوتو، الجزائر، ط 2011م.

60-بوعزيز يحي:تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القـــرن العشرين، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2001.

61-بوعزيز يحي: أعلام الفكر الثقافي في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، بـــيروت، ط1، 1995.

62-بوعياد محمود: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاســـع الهجـــري (15ه) ، الشكركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982م.

63-جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية (د-ط)، (د-ت).

64-جودت عبد الكريم يوسف:الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوســـط خـــلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م) ديوان الموضوعات الجامعيـــة، الجزائـــر، (د، ط)، (د، ت).

65-الجيلالي عبد الرحمن بن محمد:تاريخ الجزائر العـــام، ج2، دار الأمـــة:الجزائـــر، (د، ط)، 2010م.

66-حاجيات عبدالحميد، أبو حمو موسى الزياني (حياته، وآثاره)، الـــشركة الوطنيـــة للنـــشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

67-الحريري محمد عيسي: تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المـــريني، دار العلـــم، الكويت، ط2، 1987م.

68-حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاقتصادية و الثقافيـــة)، ج2، منـــشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009م.

69-حسن ابراهيم حسن:انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المـــصرية، القـــاهرة، ط2، 1963م.

70-حسن أحمد محمود:الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ط)، 2002م.

71-حسن علي حسن:الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس (عصر المـــرابطين والموحـــدين)، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.

72-حسن محمود نبيلة: تاريخ إفريقيا الإسلام-عبدالله العروي، مجمل تاريخ المطـــرب، المركـــز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م.

73-الدالي الهادي مبروك: التاريخ الحضارة لإفريقيـــا وراء الـــصحراء، بنغـــازي ليبيـــا، ط1، 2002م.

74-الدالي الهادي مبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء من نهايـــة القرن الخامس إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999م.

75-الدراجي بوزياني: نظم الحكم في الدولة بني عبدالواد الزيانيـــة، دار المطبوعـــات الجامعيـــة، الجزائر، 1993م.

76-دندش عصمت عبد اللطيف:دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيـــا 430هـــــ-515ه/ 1038م-1121م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1408، 1988م.

77-زبادية عبد القادر:الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنـــوب الـــصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1989م.

78-زكي محمد حسن:الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، كلمات للترجمة و النشر، القاهرة، 2013م.

79-سعد غيث أحمد مطير:الثقافة العربية الإسلامية و أثرها في المجتمع السودان الغربي (دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي)، المدار الإسلامي:(د، م)، ط 1، 2004م.

80-السيد أبو مصطفى كمال:جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينيـــة والعلميـــة في المغرب الإسلامي من خلال توازن المعيار المعرب للونشريسي، مركـــز الإســـكندرية للكتـــاب، الإسكندرية، 1996م.

81-السيد عبد العزيز سلم:تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة الشهاب للطباعة والنـــشر والتوزيع، الجزائر (د-ت).

82-شاكرمحمود:السودان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1401، 1981م.

83-شترة خير الدين:الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (المـــصلح الثـــائر و فكـــره الإصلاحي في توات و السودان الغربي)، ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينيـــة و الأوقـــاف، تلمسان، 2011م.

84-شواش بن رمضان محمد: باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بن زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995م

85-شوقي عطاء الله والجمل إبراهيم:تاريخ المسلمين بافريقية ومشكلاتهم، دار الثقافـــة للنـــشر، القاهرة، ط1، 1996م.

86-صاري جيلالي:تلمسان الزيانية، إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث، تـــر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، (تلمسان-الجزائر)، 2011م.

87-الصاوي كمال محمد: تاريخ المسلمين في إفريقيا و مشكلاتهم، مؤسسة شـــباب الجامعـــة، الإسكندرية، 2008م.

88-طاهر أحمد:إفريقيا فصول بين الماضي و الحاضر، دار المعارف، القاهرة، (د.، ط)، (د، ت).

89-الطمار محمد بن عمرو:تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤســـسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د، ط)، 1984م.

90-العروي عبد الله:مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي:بيروت، ط1، 1994م.

91-غربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، (نشأته وأثاره)، ج1، اش:تقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، (د، ت).

92-الغنيمي عبد الفتاح مقلد:حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، مكتبـــة نهـــضة الـــشرق، القاهرة، 1983م.

93-فاضل محمد علي و سعيد إبراهيم كردية: المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ و حـــضارة)، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 2007م.

94-الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق افريقبا و جنوب الصحراء، منشورات جامعة قاريونس: بنغازي، ط 1، 1998 م.

95-قداح نعيم: حضارة الإسلام و حضارة أوربا في إفريقيا الغربية، المؤسسة الوطنيـــة للنـــشر و التوزيع، الجزائر، ط2، (د-ط)، (د-ت).

96-مؤنس حسين:تاريخ المغرب وحضارته، مج2، دار العصر، لبنان، ط 1، 1992م.
97-الماحي عبد الرحمن عمر: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع و المستقبل، ديوان المطبوعـــات الجامعية، الجزائر، ط5، 1909.
98-مقدم مبروك:الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بالإمارات ومماليك افر يقيا الغربية خلال القرن 8و9م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.
99-زبادية عبد القادر:مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493م/1591م)، الشركة الوطنيـــة للنشر و التوزيع،الجزائر (د،ط)، 1989م.
100-الميلي مبارك بن محمد:تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق، تح: محمد الميلي، امؤســـسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت).
101-النحوي الخليل:بلاد الشنقيط(المنارة...والرباط)عرض للحياة العلمية والإشـــعاع الثقـــافي الجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تـــونس، 1987م.
102-هلال عمار:الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غـــرب إفريقيـــا الـــسمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984م.

د/المعاجم والموسوعات:

103-ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل: لسان العرب، ج6، دار الصادر، بـــيروت (د، ت).
104-أبو داود، سني أبي داود:موسوعة الحديث، الإصدار، 1-2، شركة صخر برامج الحساب، باب البيوع، رفع الحديث. 1991-1996)
105-حجي محمد:موسوعة أعلام المغرب، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م.
106-الزركلي خير الدين:الأعلام، مج 7، دار العلم للملايين: بيروت، ط37، 1998م.
107-حميش عبدا لحق ومحفوظ بوكراع ساعد: موسوعة تراجم علماء الجزائر (علماء تلمـــسان وتوات) دار زمورة، الجزائر 2011م.
108-مؤنس حسين: أطلس التاريخ الإسلامي، الزهراء للإسلام العربي، ط1، 1987م.

هـــ/المراجع المترجمة:

109-ج-هويكتز:التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، محمد عبد الغني سعودي، تر:احمد فـــؤاد بليغ، مكتبة الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998م.

110-جوزيف جوان: الإسلام في مماليك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر: مختار الـــسويفي، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني، (القاهرة، بيروت)، (د-ط)، (د-ت).

111-دي بور:تاريخ الفلسفة الاسلامية، تر محمد عبد الهادي أبو زيدة ، دار النهـــضة العربيـــة، بيروت، ط1، 1988م.

112-رونسيل و ورين هاو: تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، تر: عبد الوهاب محمد الزنتاني، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2009م.

113-شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، تع:محمد غزالي وبشير سلامة، الـــدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983م.

114-لومبار موريس:الإسلام في مجده الأول-08م-تر:العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1982م.

115-مارمول كربخال:إفريقيا، ج3، تر: محمد حجي، محمد زنيبر و أخرون، مطبعـــة المعـــارف الجديدة، (الرباط، المغرب)، 1984م.

و/المراجع بالأجنبية:

116-Canale jea suret , Afrique noire (géographique, civilisation، histoire).

117-Coudray,relation commercial les de Tlemcen avec Sahara et le soudan ،dans bulletin de la sociate de géographie d Alger,2 eme amme,1887.

118-Cquery vidrouvtch catherine ، historie des villes d'afrique moire desorigines

119- La colonisations, paris:ed albinchel،1993.

120- Mauny Raymonde, tableau géographique d'Afrique noir, m.ifan,akar:1961.

121- baduel pierre robert et autrets،enjeux saharien،jmprimerie،luoisjsean, paris:s.d.i.

ز/الرسائل الجامعية:

122- بشاري لطيفة:"التجارة الخارجية لتلمسان في الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القـــرن العاشر الهجريين(13، 16م)"، رسالة الماجستير، جامعة الجزائـــر، (1406-1407/1986-1987م).

123- بودواية مبخوت: "العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغـــربي في عهد الدولة الزيانية"، رسالة دكتوراه دولة التاريخ إش: عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمـــسان، 2005، 2006م.

124- كمال عبدا لرزاق شقدان بسام: "تلمسان في العهد الزياني (633- 962هـــ/1235 - 1555م)"، رسالة ماجستير في التاريخ، نابلس، فلسطين، 1422هـــ-2002م.

ح/المجلات والمقالات التاريخية

125- الفرقاني محمد: "رسائل المغيلي إلى سلطان كانو"، مجلـــة عـــصور، ع:8-9-10-11، الجزائر 2006، 2007م.

126- بلعربي خالد:" تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط"العصر الوســـيط"، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ع: 15، 2011م.

127- حسين سيد عبد الله مراد: " الصلات بين المغرب و السودان الغربي خلال القرن (2و 6 هـــ) (8-12م) معهد البحوث و الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة " (د-ت).

128- طاهر بخدة:"العلاقات التجارية بين حواضر المغرب الاوسط وبلاد السودان الغربي"، مجلة الثقافة الإسلامية(محكمة)، ع: 12، دار حكمة، الجزائر1435 هـــ، 2014 م.

129- عبد القادر زبادية: "السودان الغربي و ممالكه الإسلامية "، مجلة التاريخ، ع: 09، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر.

130- عبد العزيز رشيد:"الحبوب في أسواق المغرب الأوسط"، مجلة العصور الجديـــدة، ع:11، 12، خريف –شتاء (فبراير) 1434-1435 هـــ/2013-2014م.

131- عبد الكامل عطية:"الروابط التجارية بين شمال وجنوب الصحراء الكـــبرى مـــن خـــلال المصادر العربية والرحالة الأربيين بين القرنين (15م، 19م)"، مجلة كان التاريخية، ع:23، 2014 م.

132- بن عميرة لطيفة:"إسهامات التلمسانيين في المجالين الاقتصاديين والديني بالسودان الغربي "، تلمسان الإسلامية من التراث العمراني والمعماري والميراث الفـــني، ج2، أعمـــال ملتقـــى دولي بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان ، 2011م.

133- بن عميرة لطيفة:"الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك السودان الغربي،"حولية المـــؤرخ، ع:5، تصدرعن اتجاه المؤرخين الجزائريين، جوان2015م.

134- بن عميرة بشاري لطيفة:"صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد"، مجلـــة العصور الجديدة، الجزائر، جامعة وهران، ع:8/7 خريف –شـــتاء 2012-2013م. العـــربي إسماعيل:"مسالك الإسلام و العروبة إلى الصحراء الكبرى" ، مجلة الثقافة، ع:، 26الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م.

135- عطاء الله دهنية: "العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الـــصحراء مـــن القـــرن السادس إلى الثامن الهجري ودور تلمسان في هذا المجال"، مج1، مجلـــة الأصـــالة، ع:26، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف:تلمسان، 2011م.

136- كنان ميغا محمد حمد:"البعد السياسي والمقاصدي في أجوبة الإمام المغيلي عن أسئلة بعض سلاطين السودان العربي"، أعمال الملتقي الدولي، المنشورات ، وزارة الشؤون الدينية و الأوقـــاق، تلمسان2011م.

137- نصر الدين بن داود:"قراءة في رسالة المغيلي إلى سلطان كانوتاج الدين فيما يجب علـــى الملوك والسلاطين"ملتقى دولي بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمـــسان، 2014م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

إهداء

كلمة شكر

مقدمة..... أ-و

الفصل الأول:الدولة الزيانية والسودان الغربي (سياسيا).

المبحث الأول:الدولة الزيانية: 2

أ-النسب والموطن..... 2

ب- النشأة..... 5

ج-حدودها السياسية: 7

د-علاقاتها مع جيرانها: 10

1-مع الحفصيين: 10

2-مع المرنيين: 13

المبحث الثاني:السودان الغربي:..... 18

أ-التسمية والموقع الجغرافي: 18

1- التسمية: 18

2- الموقع الجغرافي:..... 19

ب-انتشار الإسلام في السودان الغربي 21

1-السودان الغربي قبل ظهور الإسلام بها: 21

2-دخول الإسلام إلى المنطقة..... 22

ج-أهم ممالك السودان الغربي..... 28

1-مملكة غانة 28

أ-التسمية والموقع الجغرافي:. 28
ب- الحدود الجغرافية 28
ج-الحياة السياسية 29
2-مملكة مالي 31
أ- التسمية والموقع الجغرافي 31
ب-الحدود الجغرافية:. 32
ج-التنظيم السياسي..... 33
3- مملكة صنغاي:..... 34
أ-التسمية والموقع الجغرافي 35
ب-الحدود الجغرافية 35
ج-المظاهر السياسية..... 36
الفصل الثاني:العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي:
المبحث الأول:القوافل مسالكها والمحطات التجارية بين الإقليميين:..... 38
أ-الطرق والمسالك البرية..... 38
ب-نظام سير القوافل ووسائل النقل:..... 42
ج-المخاطر التي تواجه القوافل أثناء السير:. 44
1-الزوابع والعواصف:..... 44
2-ندرة المياه:..... 44
3-قطاع الطرق وأمن القافلة: 45
د-المحطات التجارية: 46
1-وجدة: 46

2-سجلماسة: 46
3-ايولاتن 47
4-تنبكتو: 47
5-توات: 47
6-أوداغشت: 48
7-غانة 49
8-مالي 49
9-تكدة: 49
10-تادمكة(مكة الجديدة): 50
المبحث الثاني:حركة التبادل التجاري ونظم التعامل بين الإقليميين 51
أ-الحركة التجارية: 51
ب-الصادرات والواردات بين الإقليميين 53
أ-صادرات الدولة الزيانية إلى السودان الغربي: 53
1-المواد الزراعية: 54
أ-الفواكه: 55
ب-الحيوانات: 55
2-المواد الصناعية: 56
ب-واردات السودان الغربي إلى الدولة الزيانية: 58
1-الذهب. 59
2 -الملح 60
3-العبيد(الرقيق): 61

4 -ريش وبيض النعام: 62
5-العاج 62
6-التوابل 62
7-الجوز: 63
ج-نظم التعامل التجاري: 63
1-المقايضة (التجارة الصامتة). 63
أ-الأصداف: 63
ب-الودع: 63
ج-العملة (الذهبية والفضية): 64
2-المكاييل والموازين والمقاييس في الدولة الزيانية والسودان الغربي: 65
أ-في الدولة الزيانية 65
1-المكاييل 65
2-المقاييس. 67
3-الموازين 67
ب-في السودان الغربي: 67
1-المكاييل 67
2-الموازين: 67
3-المقاييس: 68
الفصل الثالث:الصلات الثقافية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي:
المبحث الأول:الحياة الثقافية في السودان الغربي: 70
1-المؤسسات الثقافية: 70

أ-المساجد: 70
-مسجد الجامع الكبير بتنبكتو: 71
-جامع سنكوري أوسنكري: 71
-جامع سيدي يحي التادلسي: 72
-مسجد التواتيين: 73
-مسجد أسقيا الحاج محمد: 73
-مسجد أسقيا الحاج محمد باقدز: 73
-مسجد محمد بن عبد الكريم المغيلي: 73
-مسجد جنى: 74
-مسجد غاو: 74
ب-المدارس والكتاتيب: 75
-التعليم ومناهجه: 75
ج-المعاهد العليا: 76
د-العلوم المتداولة بها 78
-العلوم النقلية 78
-علم الفقه 78
-علم اللغة والأدب: 79
-العلوم العقلية 81
-علم المنطق 81
-علم الفلك: 82
ه-أهم العلماء بها 82

-محمد الكابري: 82
-الشيخ محمود البغدادي: 82
-الفقيه القاضي كاتب موسى: 82
-محمد بن محمود بغيغ 83
-محمود كعت 83
-محمود بن عمر بن محمد أقيت: 84
المبحث الثاني:الروابط الثقافية والحضارية بين الإقليميين: 85
أ-الإمام المغيلي ببلاد السودان الغربي أثره الفكري والديني بها 85
1-المولد والنشأة: 85
2 -دوره الإصلاحي والدعوي: 86
-حواره مع السلطان محمد بن يعقوب ومضا أمير مملكة كانو 87
-حواره مع الأسقيا الحاج محمد الكبير حاكم مملكة صنغاي 88
3-آثاره الفكرية: 90
ب-تأثير الطرق الصوفية والزوايا 92
1-الطريقة القادرية 92
2-الطريقة الشاذلية 94
أ-الناصرية: 94
ب- الغضفية 94
3- الزوايا: 95
ج-التأثير العمراني والفني 96
1-التأثير العمراني 96
2-التأثير الفني: 98

خاتمة 100
الملاحق: 103
قائمة المصادر والمراجع..... 110